نظـرات قـرآنيـــــة

سـورة الـكـهـف

للباحـث : سـيـد محـمـد زهيـر

23 ش سكة المدينة – ناهيا – إمبابة – جيزة – ج.م.ع

تليفكس: 33250202 (202+) – محمول: 01224252934

E-Mail:ghad_2008m@yahoo.com

فهرسة إثناء النشر

زهير، سيد.
نظرات قرآنية (سورة الكهف) : / تأليف سيد زهير.
ــ الجيزة. مكتبة ومطبعة الغد، 2011م 184 ص؛ 24سم.
تدمك: 1 189 348 977
1- نظرات قرآنية (سورة الكهف)
أ- العنوان 128.2
رقم الإيداع : 15911 / 2011
الترقيم الدولي: **I.S.B.N**. 978 - 977 – 348 – 230 - 2

الطبعة الأولى: 2011م

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

23 ش سكة المدينة – ناهيا – إمبابة – جيزة – ج.م.ع
تليفكس: 33250202 (202+) – محمول: 0124252934

E-Mail:ghad_2008m@yahoo.com

إهـداء

إلى الذي علمني أن الصدق حياة

وأن الحيـاة صـــــدق.

رحـــم الله والــدي.

إلى التي علمتني أن العطاء حياة

وأن الحيـــاة عطـــــاء.

رحـــم الله والــدتـــي.

إلى البراءة كانت تمشي على قدميـن.

رحـم الله فاطمـــة أختـــي.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

سفن وشواطئ

سورة الكهف سورة مكية نزلت بعد سورة الغاشية وقبل سورة النحل وهي تأتي في الترتيب المصحفي بعد سورة الإسراء والتي تسبق الكهف أيضاً في نزولها.

وقد قيل: إن الغرض من نزول السورة الكريمة أن قريشاً بعثت إلى أحبار اليهود بالمدينة يخبرونهم بأمر النبي ﷺ ويسألونهم عنه فقالوا: سلوه عن ثلاثة فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم؟ وعن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه؟ وسلوه عن الروح ما هو؟

لقد كان الرسول ﷺ يتوق ويتشوف أن يستجيب قومه لدعوة الإيمان والإسلام لله سبحانه وتعالى، وكان يعز عليه ويحزنه ويؤلمه ما يجده من نفور قومه تجاه الدعوة العظيمة

﴿ "فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا "٦ ﴾

لذا فإن الرسول ﷺ بمجرد وحال أن سأله قومه بهذه الأسئلة الثلاثة التي لقنها لهم أحبار اليهود، وهو يطمع ويطمح في إيمانهم، رد عليهم قائلاً: أخبركم بما سألتم عنه غدًا ولم يتنبه في غمرة التماسه إيمان قومه أن يقول: إن شاء الله.. فمكث خمس عشرة ليلة لا يأتيه الوحي حتى أرجف أهل مكة به وقالوا: وعدنا محمد غدًا، واليوم خمس عشرة ليلة، فشق هذا عليه ثم نزل جبريل بالكهف وفيها معاتبة له على حزنه لعدم إيمانهم بما أُنزل عليه، وخبر

ما سألوه عنه من أمر الفتية، والرجل الطواف وقوله تعالى:﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴾ وتعليمه تقديم المشيئة لله في كل الأمور. ﴿"وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ"﴿٢٤﴾ ﴾

– هذا هو ما قيل في التفاسير عن مناسبة نزول السورة الكريمة، وهو وجه جيد حسن، وهو أيضًا الوجه الأشهر والأنسب لاسم السورة الكريمة. ومع ذلك فإن حصر المعاني والدلالات داخل ذلك الإطار الضيق من الأسباب والإجابة عن الأسئلة الثلاث، وتعليم الرسول ﷺ تقديم المشيئة لله على رجاحته وقوته يختزل ويجتزئ كثيرًا من المعاني والدلالات.

إن كهوف الغيب والمعاني ككل آيات الله ذات جمال مستور. علينا أن نقف أمامها ونطيل الوقوف، ومرات أُخر نقف أمامها ونطيل التأمل والدعاء، ونركز البصر، ونوجه الفؤاد حتى تفصح الآيات وتستجلي بعض كهوفها وأغوارها ومكنوناتها.

ذلك أنك كلما جددت لهذا الكتاب قراءةً جدد لك عطاءً، وكلما زدتَّه تأملاً زادك من فيض دلالته! وكلما ظن أحدنا أنه كاد يقترب من استيعاب دلالته ظهر أمامه منها ما يتحقق معه أنه كان واهمًا في ظنه، وأنه لم يبلغ من ذلك الذي توهمه إلا ما يبلغه من يستقي من البحر المحيط بدلوه، إذا أحصى عدد الدلاء التي اغترفها استكثرها، فإذا نظر إلى البحر الذي استقى منه عاد ما كان استكثره قليلاً، قلةً لا تجيز له أن يُقَارن بين ما أخذ وما بقي.

وهذا عينه ما عبرت عنه بنت الشاطئ بقولها: "من إعجاز القرآن أن يظل مشغلة الدارسين العلماء جيلاً بعد جيل، ثم يبقى أبد الدهر سخي المورد، كلما

حسب جيل أنه بلغ منه الغاية امتد الأفق بعيداً وراء كل مطمح عاليًا يفوت طاقة الدارسين ".

– إن العلاقة الوطيدة بين فاتحة السورة الكريمة وخاتمتها تلتقط لنا مناسبةً فريدة غايةً في القوة بين ذلك الافتتاح وتلك الخاتمة. اقرأ معي هذين الطرفين المتشابهين، وأعد القراءة مرة أخرى متأملاً ما بين الطرفين وقد تحركت المعاني بينهما:

﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝١ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا ۝٢ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدٗا ۝٣ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا ۝٤ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٖ وَلَا لِأٓبَآئِهِمۡۚ كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبٗا ۝٥ ﴾ [1].

هذا هو طرف وشاطئ الافتتاح والاستهلال فماذا عسى أن يكون خاتمة ونهاية الطرف والشاطئ الآخر؟ :﴿ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ۝١٩ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ۝١١٠ ﴾ [2].

---

1 – الكهف آية 1 – 5

2 – الكهف آية 109 –110.

ونعود فنسأل ما الذي يجمع بين ذاك الافتتاح وهذا الختام، وما هي المعاني التي تتحرك بينهما؟ لا أحسب بعد هذا العرض أن الإجابة بعيدة، إن الذي يجمع بين الطرفين أو شاطئي السورة .

أولاهما: كتاب من عند الله، لم يجعل الله له عوجا، قيماً ، عطاء الله فيه كلمات لا تنفد ولو نفد بحر مدادها الذي تكتب به.

وثانيهما: رسول هو عبد لله بشر مُكلف بإبلاغ ما ينزل عليه من رسالات ربه بما فيها من بشرى ونذارة.

وثالثهما: البشر المرسل إليهم ذلك الكتاب من خلال رسوله الكريم، يحمل البشرى للمؤمنين الذين يعملون الصالحات بالأجر الحسن، ولقاء ربهم، وكذلك يحمل النذارة للكافرين المكذبين المشركين بعبادة غير ربهم.

هذان هما الشاطئان المتشابهان التي تبحر المعاني وتتحرك وتتناقل بينهما.

فما هي هذه المعاني ؟

المعنى الأول: وهو خاص بالرسول ﷺ ﴿"**فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا**"﴾ يقابله في الختام ﴿"**قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ**"﴾ **المعنى الثاني:** خاص بالبشر جميعًا: المؤمنين منهم أهل البشارة، والكافرين المشركين أهل النذارة ﴿ **إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ۝٧ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيۡهَا صَعِيدٗا جُرُزًا ۝٨** ﴾[1]

1 – الكهف أية 7–8 .

يقابلها في الختام:﴿ قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلاً ١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنًا ١٠٥ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمۡ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ١٠٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلاً ١٠٧ ﴾[1] .

وقد يسأل سائلٌ قائلاً: لقد علمنا الشاطئين، وعلمنا المعاني التي تبحر بينهما، ولكن السؤال كيف أبحرت تلك المعاني وتحركت من شاطئ المطلع إلى شاطئ المنتهى؟ ما هي قصة سيرها، وقصة حركتها ؟، وكيف انتهت إلى النقطة التي بدأت منها وكأنها تطوف حول الأرض؟.

لاشك عزيزي القارئ أنك تلمست بعض إجابة الأسئلة وهو أن هذه المعاني التي جرت في السورة الكريمة كان تيارها ومجراها وسفنها القصص الأربع التي وردت في السورة الكريمة. فلنبحر معًا مع سفينة وتيار كل قصة ولنرَ كيف عالجت كل منها المعاني الواردة في حق الرسول ﷺ ثم المعاني الواردة في حق البشر المرسل إليهم كتاب الله كما سبق أن قسمنا.

---

1 – الكهف أية 103 – 107 .

أولاً: المعاني الخاصة بالرسول ﷺ.

لقد فاجأنا مستهل قصة أصحاب الكهف بخطاب موجه للرسول ﷺ يتصدره هذا الاستفهام.

﴿"أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنْ ءَايَتِنَا عَجَبًا"﴾.[1]

تُرى ما سر الاستهلال بهذا الاستفهام؟! لقد اختلف المفسرون في بيان معنى " أَمْ".

فالبعض قال: هي للإضراب بمعنى "بل" فقط.

والجمهور قالوا: إن " أَمْ" منقطعة بمعنى "بل" والهمزة عقب لها، ووجهوا معنى الاستفهام بمعنى الإنكار، وبعضهم يجعل الإنكار موجهًا إلى الأمة لا إلى النبي ﷺ تأدبًا معه.

ويرى فريق منهم أن الاستفهام تقريري نشأ عنه الإنكار. ويكادون جميعًا يطوون الإجابة عن سر إيثار " أَمْ" على "بل" وحدها، أو بل والهمزة.

لقد بحث الزهراوي عن سر هذا الإيثار، ونقل عنه ابن عطية أن الاستفهام هنا ليس للإنكار "بل" هو للتنبيه والتشويق، وإثارة الذهن نحو المُستفهَم عنه هذا من جانب.

ويضيف الباحث إلى جانب ذلك تقرير وتوجيه للرسول ﷺ بأن ما بين يديه من الكتاب وسائر آياته أعظم من قصتهم وبذلك فإن " أَمْ" هنا تُوجه بمعنى " هل ".

---

1 – الكهف آية 9 .

وأما عن سر إيثار " أَمْ" على "هل" هو أن كل المعاني والجوانب التي سقتها منذ قليل لا يقوم ولا ينهض بها سوى " أَمْ"؛ فهي تفيد العطف إلى جانب تضمنها معنى الاستفهام، وهذا العطف المفاد منه قد أدى معنىً فخيمًا هو الربط بين ما قبل " أَمْ" وما بعدها، كما أن " أَمْ" تدل على متعين: بمعنى أنك إذا سألت أحداً أيشرب باردًا أو ساخنًا؟ حملت " أو " معنى التخيير.

أما لو سألته نفس السؤال أيشرب باردًا أم ساخناً؟ فإن "أَمْ" تحمل معنى الترشيح والتفضيل لشرب الساخن. وإذا قلت: أجاء خالد أم أحمد فأنت تعرف أن أحدهما قد جاء ولكن لا تدري من هو. أما إذا قلت: أجاء خالد أو أحمد فأنت هنا لا تسأل عن أيهما جاء وإنما سؤالك: هل جاء أحدهما؟ لأنك لا تعلم شيئًا مسبقًا. وبذلك فإن " أَمْ" تدل كما سبق أن ذكرنا على متعين في الذهن، وهو ما أشرنا إليه في التقرير والتوجيه للرسول ﷺ منذ قليل.

وبذا يكون الاستفهام قد خدم المعنى الأول الخاص بالرسول ﷺ ﴿ فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧ وَإِنَّا لَجَـٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ۝٨ ﴾[1].

وسنرجئ الكلام عن المعنى الثاني حتى ننتهي من الكلام عن المعنى الأول الذي يخص الرسول ﷺ.

فكيف إذن أوضحت قصة أصحاب الكهف تلك المعاني الخاصة بالرسول ﷺ ؟.

---

1 – الكهف آية 6–8 .

لن أشرح ولكن سوف أشير، وأترك الإشارات للقارئ لتسوقه إلى ما سبق أن قلناه وربما يفيض عليه المولى بالمزيد.

اقرأ معي ماذا قال الفتية إذ آووا إلى الكهف: ﴿ **فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا** ﴿١٠﴾ [1].

ثم اقرأ ماذا قال المولى للرسول ﷺ بعد أن أمره بتوجيه المشيئة لله سبحانه وتعالى:

﴿ **وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَـٰذَا رَشَدًا** ﴾.

تُرى ما هو الأقرب من هذا **رَشَدًا** من آية أصحاب الكهف والرقيم ؟!!!

إنها آياتٌ أيضًا ولكنها آيات التلاوة لوحي الكتاب الحكيم التي هي أقرب رشدًا وأعجب من آيات أصحاب الكهف والرقيم، وذلك إلى جانب الصبر على الدعوة، وإعلان الحق ﴿ **وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا** ﴾ [2] أي لن تجد أعظم من هذا الكتاب الموحى إليك موئلاً ومأوى ﴿**وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ**﴾ وكذلك في ذات الآية ﴿**وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ**

---

1 – الكهف آية 10.

2 – الكهف آية 27 .

ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطًا ﴾[1] وكذلك ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ ﴾ [2].

كانت هذه التوجيهات للرسول ﷺ حول فتنة الدين وهي أعظم الفتن لذا سميت السورة باسم أصحابها سورة الكهف، فهي عَلَمٌ على القصص.

– تُرى أيضًا ما هو الخاص بالرسول ﷺ في قصة صاحب الجنتين وصاحبه المؤمن؟!

لقد وجه الله رسوله إلى تحذير قومه من الافتتان بنعمة المال والولد وذلك من خلال إعلان صاحب الجنتين المفتون ندمه ﴿"وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴾ [3]، وأقر المولى بأنه "﴿ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا" ﴾ .[4]، ثم أبرز الحقيقة الكبرى "هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا" ﴿٤٤﴾ [5].

فأمره بضرب المثل لقومه لتصوير حقيقة الدنيا كما يراها خالقها، والتهوين من شأنها واستقصار نعيمها إلى جانب ما أعده الله من النعيم المقيم

---

1 – الكهف آية 28 .

2 – الكهف آية 29

3 – الكهف آية 42 .

4 – الكهف آية 43 .

5 – الكهف آية 44 .

لأصحاب الباقيات الصالحات ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمًا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ٤٥ ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا" ٤٦ ﴾ [1].

وفي سياق الخبر والحكاية من الله إلى الرسول ﷺ يوجهه إلى عظمة القرآن ﴿"وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا" ٥٤ ﴾[2]، كما يوجهه إلى حقيقة دوره ومهمته ورسالته ﴿ وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ [3]

لتنزل الآيات بردًا وسلامًا على قلب رسوله فتزيل ما عَلِقَ بنفسه من هم وغم على عدم استجابة قومه لدعوة الإيمان والحق التي يدعو إليها ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ٦ ﴾[4].

ثم يُردف قائلاً له مبيناً بعضًا من أسرار رحمته: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ لَوۡ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلۡعَذَابَۚ ﴾ [5]

---

1 – الكهف آية 45 – 46

2 – الكهف آية 54.

3 – الكهف آية 56 .

4 – الكهف آية 6 .

5 – الكهف آية 58 .

ولكن المولى لم يعجل العذاب وأمد الوقت فأمهل وأعطى الفرصة للرجوع إلى صراط الفطرة المستقيم ﴿ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [1].

– وماذا يخص الرسول ﷺ من فتنة العلم التي وردت في قصة موسى والعبد الصالح؟

لم يتعرض الرسول ﷺ لتلك الفتنة، ولكن سيق له التوجيه في قصة أصحاب الكهف وتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۖ فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا ﴿٢٢﴾ ﴾ [2] وكذلك في قوله تعالى في قصة صاحب الجنتين: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ﴿٢٤﴾ ﴾ [3].

ولعل هذا يكون بياناً للسر في أن كل قصة قد بدأت بالخطاب المباشر من الله إلى الرسول ﷺ ﴿ أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ ﴾ [4] وكذلك ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا ﴾ [5] وكذلك ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِي

---

1 – الكهف آية 58 .

2 – الكهف آية 22 .0

3 – الكهف آية 23 –24 .

4 – الكهف آية 9 .

5 – الكهف آية 32 .

ٱلْقَرْنَيْنِ ﴾ [1] إلا قصة موسى وفتاه والعبد الصالح فقد جاءت خبرًا وحكايةً عطفًا على قصة صاحب الجنتين وصاحبه المؤمن: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ .....﴾[2] .

وأما ما كان خاصًا بالرسول ﷺ عقب قصة ذي القرنين فتمثل فيما أمره الله به مستهلاً بفعل الأمر "قُل"، وهو على الترتيب الإنباء بالأخسرين أعمالاً ﴿"قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا"﴾ [3]، وكذلك بيان عظمة الكتاب الذي بين يديه وهو طرفٌ من شاطئ المنتهى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ ﴾[4] الذي هيأ له شاطئ المبتدى:﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا ....﴾ [5] وكذلك

---

1 – الكهف آية 83.

2 – الكهف آية 60 .

3 – الكهف آية 103 .

4 – الكهف آية 109 .

5 – أول الكهف .

بيان حقيقة الرسول ﷺ ووظيفته ومهمته: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ [1].

ثانيًا: المعاني الخاصة بالبشر جميعاً مؤمنهم وكافرهم

حيث مهد لها بمفترق طريقين أو تيارين: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ۝٨ ﴾[2] فوصل تيار الإيمان بين شاطئ المبتدى المتمثل في المؤمنين الذين يعملون الصالحات، مارًا بمجرى الإيمان في الفتية الذين آمنوا بربهم في أول قصة، ثم في صاحب الجنتين الذي قال: ﴿ وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدًا ۝٣٨ ﴾ [3]، ثم في موسى وفتاه والعبد الصالح الذي آتاه الله رحمة من عنده وعلمه من لدنه علمًا، وفي نهاية المطاف مارًا بذي القرنين الذي مكن له الله في الأرض وآتاه من كل شيء سبباً فحكم بالعدل، ووجه سائليه إلى الأخذ بأسباب القوة ناسبًا الفضل كله في نهاية الأمر لربه قائلاً: ﴿هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ﴾. وكذلك ناسبًا العلم كله لله سبحانه وتعالى قائلاً: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ۝٩٨ ﴾ [4]

---

1 – الكهف آية 110

2 – الكهف آية 7–8 .

3 – الكهف آية 38 .

4 – الكهف آية 98 .

حتى صب التيار ووصل بمجراه إلى شاطئ الأمان والمنتهى في نهاية السورة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلاً ١٠٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلاً ١٠٨ ﴾ [1] .

– وأما عن المجرى أو التيار الآخر الذي يصل بين الشاطئين فيتمثل في كفر الذين: ﴿ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ٤ ﴾ [2] مارًا بنظرائهم من الكفار في قصة الكهف في الذين ﴿ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ﴾ [3]، ثم في صاحب الجنتين الظالم لنفسه، ثم في الملك الذي يأخذ كل سفينة غصبًا، ثم في الغلام الذي خُشِي أن يرهق أبويه طغيانًا وكفرًا، ثم في نهاية المطاف في القوم الذين وُجِدُوا في مغرب الشمس، ثم في المفسدين في الأرض، ليصل إلى نهاية رحلته لترسو عندها الحقيقة بأن هؤلاء الذين كانت أعينهم في غطاءٍ عن ذكر الله وكانوا لا يستطيعون سمعًا.

إنهم الأخسرون أعمالاً:﴿ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴾ [4] لأنهم: ﴿ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ ﴾ فماذا كانت النتيجة:﴿

1 – الكهف آية 107 – 108 .

2 – الكهف آية 4 .

3 – الكهف آية 15.

4 – الكهف آية 104 .

﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [1] فماذا كان جزاؤهم؟ ﴿جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا﴾ [2].

أرأيت كيف انعطف شاطئ المعاني لصدر الآيات على شاطئ المعاني لخواتيمها، وكيف تحركت المعاني بينهما بالوصل والتقريب والبيان حتى التقى مجمع بينهما.

والباحث إذ يكتب نظراته حول السورة الكريمة فحاشا لله أن يدعي أنه قد أتى بتفسير، أو بيان. فكتاب الله كتاب متجدد العطاء، وهو كتاب الكون المقروء. تحس معه أنك لست في وسط كتاب تحتويه دفتان، وإنما أنت وسط كون شاسع يحتويك، لا تستطيع أن تسبر أغواره، ولا أن تصل إلى مداه.

لذا فإن ما يقدمه الباحث لا يتجاوز حدود آماد النظرات التي قد تصيب وقد تخطئ.

حاول فيها الباحث أن يضع القارئ بين آيات الكتاب الكريم.

اللهم إني أعوذ بك أن أقول حول كلامك كلمة لا ترضاها.

وأبرأُ إليك من كل زلة غفل عنها القلب أو طاش بها الرأي.

وأتقرب إليك بكل كلمة كشفت لقارئها معنى جديداً من معاني قرآنك فنزلت من نفسه منزلاً حسناً، وفتحت أمام أفقه نافذةً من نوافذ كلامك الأسنى.

وأضرع إليك يا رحمن أن تجعل قلمي وقلبي وفكري ووجداني وحياتي كلها خدمةً خاشعةً لكتابك الكريم.

---

1 – الكهف آية 105 .

2 – الكهف آية 105 .

الباب الأول

النظرات القرآنية

النظرة الأولى
على باب الكهف

ماذا لو كنت في زمن أهل الكهف....؟!

ماذا لو كنت من القلة المؤمنة.....؟!

ماذا لو كنت أحد الثلاثة أو الخمسة أو السبعة....؟!

لا شك أنك كنت تقتفى أثرهم فتدلف وتأوي إلى الكهف معهم.

فماذا كنت سوف تحمل زادًا.....؟!

لا شك أن زادك سيكون من جنس زادهم.

فماذا كان زادهم....؟!

لقد كان زادهم الإيمان والهدى. [1]

وماذا كان عونهم....؟!

لقد ربط الله على قلوبهم فحفظ لهم إيمانهم. [2]

فماذا كان ثمرة ذلك الربط على قلوبهم.....؟!

لقد سألوا ربهم أن يمدهم بالمزيد والمزيج من الرحمة والرشاد. [3]

فبم أجاب الله دعاءهم.....؟!

---

1 – ..... إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَـٰهُمْ هُدًى .

2 – وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَـٰهًا....

3 –..... رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا .

لقد كافأهم فآواهم إلى الكهف ونشر لهم من رحمته وهيأ لهم من أمرهم مرفقا.[1]

فكم لبثوا في كهفهم.....؟!

لقد لبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا. [2]

فكيف طال بهم الأمد....؟!

لقد ضرب الله على آذانهم في الكهف سنين عددا. [3]

وكيف كان في الكهف حالهم....؟!

لقد عاشوا في كهف وكنف إيمانهم ورحمة ربهم المنشورة، حتى لقد ظنوا أنهم لبثوا يوماً أو بعض يوم. [4]

وماذا بعد.....؟!

رفع الله حجاب الضرب على آذانهم وأرخى الرباط على قلوبهم فتطلعوا إلى زاد الدنيا فزاولوا وَرِقَها وعملتها فكُشِفَ سترُهم وظهر أمرُهم على تلطف منهم في يوم أو بعض يوم. [5]

---

1 -..... فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا .

2 -وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا

3 -فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ فِي ٱلۡكَهۡفِ سِنِينَ عَدَدٗا .

4 - قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ .

5 -**فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ وَلۡيَتَلَطَّفۡ** ..(19)**وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ** (21)

وهكذا يبدو الكهف وعلى أعتاب بابه قمة المفارقة والمفاصلة بين عالمين:

– عالم فئة قليلة مؤمنة تطلعت إلى زاد الأخيار

وعالم كثرة كافرة شغفها ما يبهـــر الأنظار.

– عالم من صحت خطواتهم إلى الله فنشر لهم من رداء رحمته

وعالم من غفلت قلوبهم واتبعوا أهواءهم فكان أمرهم فُرُطا.

– عالم من عاشوا مع الأسرار حفت بصائرهم الأنوار

وعالم من عاشوا خلف الأسوار طمست أبصارهم الأغيار.

– عالم من حلقوا في رحاب كونيات الكهف المستور

وعالم من قبعوا فـــي ضباب كهفيات الكون المنظور.

– عالم من عاشوا مع الحقيقة الوضيئة المبسوطة

وعالم من عـــاشوا أسرى الزينة الوضيعة المقبوضة.

– عالم من لهم جنات يحلون فيها ذهباً ويلبسون خضراً متكئين على الأرائك

وعالم من أصبحت جناتهم صعيداً زلقاً خاوية على عروشها.

إنه ذات المعنى الذي عبر به حارثه حينما سأله رسول الله ﷺ كيف أصبحت يا حارثة ؟ قال أصبحت مؤمناً حقاً. فقال ﷺ: لكل قول حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟ قال: عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي ذهبها ومدرها وكأني انظر إلى أهل الجنة في الجنة يتنعمون، وكأني أرى أهل النار في النار يعذبون، وكأني أرى عرش ربي بارزاً، من أجل ذلك أسهرت ليلي وأظمأت نهاري.

– إن سورة الكهف سورة عظيمة، وكل ما جاء من عند الله عظيم.. غنية بالأحداث، ثرية بالأفكار، مفعمة بالأحاسيس، مليئة بنقاط التطلع والتوقف

والمشاهدة، تحمَّل من كل نقطة ما وسعك أن تحمل، ثم تتبع ذلك الخيط اللطيف الشفيف، الذي يجمع بين الآيات والأحداث والنقاط حيث يبدو لك جمالها وشمولها، وإتقانها مثل كل صنع الله... جميلاً متقنًا...﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾

فسورة الكهف وقصة أصحاب الكهف علم عليها تقدم دعوة إلى تصحيح العقيدة، وتصحيح منهج النظر والفكر، ومن ثَمَّ تصحيح القيم بميزان هذه العقيدة، وأول ما تطرحه السورة من نقاط هي نقاط الإيمان والكفر..الإيمان في المؤمنين الذين يعملون الصالحات [1]، ثم في الفتية الذين آمنوا بربهم [2]، ثم صاحب الجنتين الذي قال "وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدًا"

ثم موسى وفتاه والعبد الصالح الذي آتاه الله رحمة من عنده وعلمه من لدنه علمًا [3] ثم "ذي القرنين" [4].

---

1 - وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا

2 -إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾.

3 -فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾

4 -قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا

وأما الكفر ففي الذين قالوا اتخذ الله ولدًا أو الذين اتخذوا من دون الله آلهة [1] ثم في صاحب الجنتين الظالم لنفسه [2] ثم في الملك الذي يأخذ كل سفينة غصبا [3] ثم في الغلام الذي خُشي أن يرهق أبويه طغياناً وكفرًا [4] ثم في بعض القوم الذين وُجدوا في مغرب الشمس، ثم في المفسدين في الأرض [5] والأخسرين أعمالاً [6].

ثم نتتبع خيط الرحمة فنجد أنه لولا كلمات البأس الشديد والنذير والنار والإهلاك وهى من الرحمة أيضا لكانت سورة الكهف مثالاً للنسمة الحانية الرقيقة والرحمة المهداة. فعندما أوى الفتية إلى الكهف سألوا ربهم من عطاء رحمته:﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ ﴾.

1- ﴿ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ ﴾ ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾

2 -وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾.

3 -أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾

4 وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾

5 -قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴿94﴾

6 -قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلاً ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾.

وعندما تتبع موسى وفتاه آثارهما قصصًا: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾، وعندما قتل الغلام قال إنه أراد:﴿ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ ﴾، وعندما أقام الجدار قال إنه فعل ذلك ليكون الأمر في نهايته "رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ"

وعندما بني ذو القرنين الردم قال "هَـٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي". فانظر إلى آثار رحمة ربك تغشى الأرض من أقصاها إلى أقصاها.

وعندما ننتقل مع خيط الرحمة إلى صور عطاء الله نجد الفتية وقد ضرب الله على آذانهم، وربط على قلوبهم، ثم نعلم أن الضرب على الآذان ليس كمثل الوقر في الآذان، وأن الربط على القلوب ليس كمثل الشد على القلوب، ثم نرى أحد الرجلين وقد جعل الله له جنتين غاية في الغرس والإبداع، وترى العبد الصالح وقد آتاه الله من رحمته وعلمه من لدنه علمًا، وترى ذا القرنين وقد مكَّن له ربه في الأرض وآتاه من كل شيء سببا. ومع الرحمة نتلمس من خيوطها الكثير من المعاني والنظرات القرآنية وكذلك اللمسات.

النظرة الثانية

الكهــف والكـــــون

– وهذه النظرة هي امتداد لخيط الرحمة المنسوج بين أيدينا من خلال هذه السورة الكريمة، فخيط الرحمة الذي جمع بين مشاهد هذه السورة يوحى إليك بأن كون الله يقوم عليها، فترى دورة الأرض حول نفسها ودورة القمر حول الأرض، وترى من فتحة الكهف الشمس وهى تطلع ثم وهى تغرب، ثم ترى ذا القرنين وهو يبلغ مغرب الشمس، ثم مطلع الشمس، ثم ما بين السدين، فترى في الأرض ميلها على محورها، ودورانها حول شمسها.

– وإذا فرغت من الفلك تجد طبوغرافية الأرض وتضاريسها:

فترى الكهف وقد حُدد بموقعه من الشمس، وترى على الأرض نقطة جميلة لو أمعنت فيها التكبير لوجدت فيها جنتين محفوفتين بعناية، وترى موسى وفتاه وقد بلغا مجمع البحرين ثم تجاوزاه، ثم ينطلق موسى والعبد الصالح إلى البحر ثم يعودان، ثم يتبع ذو القرنين سببا فيبلغ مغرب الشمس ثم يتبع سببا فيبلغ مطلع الشمس ثم بين السدين، ونكاد نتبين طريقًا من الرحمة يمتد من فجوة الكهف إلى الجنتين إلى مجمع البحرين، إلى بين السدين.

– ولو تتبعت خيط العلم في السورة وهو لازمة من لوازم الكون لوجدت لذلك عجبا. فقد تفاوتت وتباينت درجاته، فهؤلاء الذين قـــالوا:﴿ **ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۝ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِأَبَآئِهِمْ** وهؤلاء الذين قلَّ علمهـــم قـــالوا: ﴿"**لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ**﴾"، وهناك من هم أكثر علمًا وأحسن حالا قـــالوا: " **رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا**

لَبِثْتُمْ" ثم في العلم المطلق لله سبحانه وتعالى:﴿ "وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا "﴾ ويؤكد ذلك قول البعض في القصة "رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ" وقد وجه الله الرسول ﷺ أن ينسب العلم المطلق بهم لله سبحانه وتعالى:﴿ قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ وكذلك قوله:﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ ﴾ ويبدو قمة التفاوت بين من لا يعلم شيئا، وبين من يعلم أن كل أمر بمشيئة الله وحوله وقوته في قصة صاحب الجنتين:﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ .

– وموقف موسى مع فتاه وكذلك العبد الصالح يصل بنا إلى ذات الحقيقة. فقد يبدو موسى أعلم من فتاه حين قال الفتى لموسى ﴿" أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا "﴿٦٣﴾ ﴾ ولسان حاله تأنيب وتبكيت لنفسه حتى لا يعاتبه أو يلومه موسى، فيفاجأ الفتى بأن ما حدث هو عين ما يروم إليه موسى ويتوق قائلاً : " ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ..... " بما يدل على نسبية العلم وتفاوته بينهما في تلك النقطة وذاك الموقف.

ثم ها هو موسى وفتاه يلهثان ويسعيان فيرتدان على آثارهما قصصا لمقابلة من هو أعلم منهما، العبد الصالح حتى وجداه "**فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا** "، وإذا بالفتى ينزوي ويختفي ولا يظهر له أي أثر في القصة، ولا نعلم .أيضاً نحن سر ذلك.

ألا يدل ذلك على نسبية العلم وتفاوته وأن فوق كل ذي علم عليم وأن العلم المطلق لله سبحانه وتعالى وأنه يؤتى علمه كيفما يشاء لمن يشاء.

أليست الرحمة هي كل ما ينشده موسى والعبد الصالح في مواقف السفينة والغلام والجدار؟

– ولِمَ يتعجب موسى من فعل العبد الصالح في أمر السفينة؟!

ألم تقذفه أمه في التابوت واليم حين مولده بوحي من ربها ؟!، بل إنه عاش في بيت عدو الله وعدوه، فقد ألقى الله عليه المحبة فيه.

– ولِمَ يتعجب أيضاً من قتل الغلام ؟!.

ألم يقم موسى بوكز من هو من عدوه فقضى عليه، فعلم أن هذا من عمل الشيطان، وصاح قائلاً: ﴿" **رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ** ﴾ .

ثم في موقف الجدار وإقامته لِمَ يتعجب موسى لعدم أخذ العبد الصالح أجراً؟!.

ألم يسْقِ موسى نفسه للمرأتين من ماء مدين ثم تولى إلى الظل قائلاً ﴿"**رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ** "﴾ ولم ينتظر أجراً. لكن موسى فاته النظر، فنظر إلى ظاهر الرحمة، والعبد الصالح حفي بباطنها.

فمن الذي صدقت رحمته ووافقت مشيئة الله؟! إنه من أُوتِيَ الرحمة من عند الله وعُلِّمَ من لدنه. إنه من ختم الله القصة على لسانه قائلاً ".....رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى....." في إشارة بليغة أن ذلك من رحمة الله ومن علم الله.

هذه هي الحقيقة فالعلم بين المخلوقين نسبى يتفاوت فيما بينهم، ولا يستطيع أحد منهم أن يقوم به وحده ولكنهم يحتاجون إلى التعاون والتآزر فيما بينهم لينمو ذلك العلم، ويزكو بإذن الله وحوله وقوته.

والعلم المطلق له سبحانه وتعالى فهو" ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ "، وهو " ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ " وهو "ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾".

– ثم ونحن نلهث خلف من أوتى من كل شيء سبباً ﴿" فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ فعند مغرب الشمس وقد وجد قوماً خُيِّرَ بين تعذيبهم جميعاً أو أن يتخذ فيهم حسنا. فماذا كان اختياره وفعله؟

إن الحكمة والعلم اقتضيا منه ألا يزن الأمور كلها بميزان واحد فماذا قال: ﴿ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ ﴾ فهو يقضي بعلم الله ومشيئته وحكمته﴿ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ﴾، ويثيب بعلم الله ومن عطائه .

ثم هاهو وقد أتبع سبباً فبلغ مطلع الشمس ثم أتبع سبباً فبلغ بين السدين.

فماذا كان رده على العرض السخي للقوم، هل فرح به وقبله؟

كلا لم يقبل خَرْجَهم الممزوج براحتهم ودعتهم وتقاعسهم في الأخذ بالأسباب، بل أمرهم أن يعينوه بقوة ويساعدوه ليجعل بينهم وبين المفسدين ردما. ونلمس عظمة العلم ورفعته حيث يبدو من السياق أن الجانب والجهد البدني في بناء الردم يقع على عاتقهم: "فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا "﴿٩٥﴾

أما جانب العلم فقد وقع على عاتق ذي القرنين " ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا "﴿٩٦﴾ وكانت ثمرة العلم والتعاون و والتآزر " فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا "﴿٩٧﴾ ثم هاهو ينسب كل ذلك العلم إلى رحمة ربه وقد بشر القوم ببقاء الردم حتى مجيء وعد ربه حيث يجعله دكاء فالقوة والحول وطلاقة القدرة والعلم لله سبحانه وتعالى "قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا "﴿٩٨﴾.

إننا نكاد نتبين خيطين للعلم في قصص هذه السورة خيط العلم النسبي المتقطع ممتداً من فجوة الكهف، إلى الجنتين، إلى مجمع البحرين، إلى ما بين السدين.

وخيط العلم المطلق الموصول المبسوط لله سبحانه وتعالى ممتداً إلى ذات البقاع بل إلى الكون كله والزمان كله.

فقد جعلنا المولى جزءاً من هذا القصص واختبر علمنا وحاجتنا إلى علمه المطلق، فلا نعلم كم عدد أصحاب الكهف وكم لبثوا على وجه التحديد

" **قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ**" رغم إعلام المولى لنا بذلك، كذلك لا نعلم من هو صاحب الجنتين وصاحبه. وأعلمنا الله بموسى ولم نعلم من هو الفتى والعبد الصالح وما اسمهما. كذلك أعلمنا بلقب ذي القرنين ولم نعرف من هو وما اسمه. فنحن لا نعلم شيئاً ولو علمنا. والعلم المطلق لله سبحانه وتعالى " **وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ** "

النظرة الثالثة
الكهف والحياة

1- الحركة والسكون.

وعاء الحياة هو الحركة والسكون، السعي والراحة، السير والركون ولكل غايته، انظر إلى المفارقة بين غاية السكون وغاية الحركة في سورتنا العظيمة .

فالفتية يلبثون في الكهف ثلاث مائة سنين ويزدادون تسعا، وصاحب الجنتين، أوقف عقله ونظره عند حدود جنتيه فقبع فيهما وسكن إليهما ولم يتنبه إلى حركة الزمن وتقلباته ودوراته، أما صاحبه فقد فطن إلى ذلك فعلم أن الدنيا بنت أغيار لا تبقى على حال وأنه بمشيئة الله تتغير الأحوال وتتقلب الأبدال ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣ ﴾

وموسى والعبد الصالح يتنقلان بين الأحداث فلا تراهما يسيران أو يعدوان، بل ينطلقان حتى أنك لسرعتهما لا تكاد أن تراهما، وهما في انطلاقاتهما لم يلحظهما أحد بالفعل، فلم يلحق بهما أصحاب السفينة طلبا لتعويض عن الخرق، كما لم يلحق بهما أهل الغلام الذي قتل، أو أهل القرية التي أقيم فيها الجدار بدون طلب من أحد.

ثم إنك ترى ذا القرنين وهو ينتقل من مغرب الشمس إلى مطلعها ثم إلى بين السدين كلمح البصر، بينما يكون قد غطى بالفعل نصف محيط الأرض.

ثم إنك لترى ذلك التقابل البديع في وصف الحركة، فموسى والعبد الصالح دائماً ينطلقان، وذو القرنين دائماً يتبع سبباً. وموسى وفتاه يبلغان مجمع البحرين ثم يرتدان على آثارهما قصصا فيجدان عبداً من عباد الله، وذو القرنين يبلغ مغرب الشمس فيجد عندها قوما.

ونحن جزء من هذا القصص في حركته وسكونه، في طلبنا للتغيير للمنكر أو السكوت عليه طبقاً لمقتضى الحال.

- فقد يكون الاعتزال والسكون والإيواء إلى كهف الإيمان وكنف الله بالدعاء هو الحل الإيجابي كما في قصة أصحاب الكهف.
- وقد يكون تغيير المنكر بالحوار مع أهله كما في قصة أصحاب الجنتين.
- وقد يكون التغيير باتباع أهل الصلاح كما في قصة موسى والعبد الصالح.
- وقد يكون التغيير بالأخذ بأسباب القوة المادية كما في قصة ذي القرنين

مصداقاً لقول الرسول ﷺ " **من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فقلبه وذلك أضعف الإيمان** ".

وهذا هو حال الداعية الذي يجوب الأرض يحمل النور إلى العالمين " **أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ**"

2- الإمساك عن الطعام

ثم إننا لنرى ذلك الخيط البالغ الغرابة في الإمساك عن الطعام، ففتية الكهف أرسلوا أحدهم ليأتيهم بأزكى طعام، فذهب ولم نره قد اشترى طعاماً، ولم نرهم قد أكلوا.

وصاحب الجنتين كان له ثمر غير أنه كفر بأنعم الله وأُحيط بثمره ولم نره يأكل منه، كما أن صاحبه أيضاً لم يفعل.

وموسى بعد أن جاوز مجمع البحرين طلب من فتاه أن يأتيه بطعام فاعتذر بأنه نسى الحوت عند الصخرة التي أويا إليها.. فارتدا على آثارهما قصصا دون أن يقربا طعاماً.

وموسى والعبد الصالح ركبا في السفينة ثم عادا، ومضيا على اليابسة إلى أن أتيا أهل قرية فاستطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما، وعلى هذا فإنهما أيضاً لم يأكلا.

وذو القرنين تراهُ مُكِّن له وأوتي من كل شيء سبباً فأتبع سبباً، تراه قد بلغ مغرب الشمس ثم مطلعها ثم بين السدين، ولم يذكر أنه تطلع إلى طعام أو متاع، حتى حينما عُرض عليه خرْج الأرض بما فيه من خيرات وطعوم نراه قد أبى ولم نره يأكل.

وحتى من دخلوا جنات عدن نجدهم وقد حلوا بأساور من ذهب،.. ولبسوا ثياباً خضراً من سندس واستبرق.. واتكئوا على الأرائك، غير أننا لم نرهم في سورة الكهف قد أكلوا من طعام الجنة، وعلى النقيض ربما نكون قد

لمحنا شراب أهل النار في قوله تعالى:"وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا".

ومن العجيب أن جميع السياقات القرآنية الأخرى التي وردت فيها لفظة " متكئين " صاحبها شراب أو طعام أو كلاهما "إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ " ." يس 55 – 57"

"هَٰذَا ذِكْرٌۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ " . "ص 49–51"

" إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ" . الطور 17–20"

" وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ". " الرحمن 46– 54"

" وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ

﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخۡلٞ وَرُمَّانٞ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيۡرَٰتٌ
حِسَانٞ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٞ مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٖ وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٖ ". " الرحمن 62 – 76"

﴿ وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّوۡضُونَةٖ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيۡهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾
يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكۡوَابٖ وَأَبَارِيقَ وَكَأۡسٖ مِّن مَّعِينٖ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ
عَنۡهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٢١﴾ ﴾
الواقعة 14 – 21"

" إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا
عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ﴿٧﴾
وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا
نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا ﴿١٠﴾
فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ
وَحَرِيرٗا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۖ لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسٗا وَلَا زَمۡهَرِيرٗا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً
عَلَيۡهِمۡ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتۡ قُطُوفُهَا تَذۡلِيلٗا " . " الإنسان 5–14"

ما دلالة ذلك؟ من يدرى؟!

إن كهوف المعاني الله أعلم بها وحده، ربما يكون القصد من ذلك التلميح والتلويح بأن أهل الإيمان في القصص الأربع كان زادهم روحياً، إيمانياً رحمانيًا تعلق بمشيئة الله وعلمه ورحمته.

وأهل الكفر والعصيان كان زادهم مادياً عرضاً لا يروى ظمأً ولا يُطفئ ناراً "بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ".

ولعل ختام السورة يشير إلى ذلك الزاد الإيماني الروحاني والمَعِين النوراني الذي لا ينضب، فمن كان يتطلع إلى القرب من ذلك الجوار الأسني، فلينتفع بما يتعلم من الرسول الذي يتلقى ويُوحَى إليه، وليأخذ بالوسيلة التي لا وسيلة سواها "فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا " فهذا وحده جواز المرور إلى ذلك الجوار الأثير.

3- الكهف ومنهج الحياة

لو تتبعت خيط أفعال الأمر والنهى وكذلك الجمل الخبرية والإنشائية، التي تأتى تعقيباً على كل قصة وفى ثناياها، لوجدت لذلك عجباً.

إن فيها رصداً لواقع الحياة، بما فيها من شرود عن الطريق الفطري الميسر، وكذلك فيها التوجيه إلى الطريق الحق والصراط المستقيم.

وبين الرصد والتوجيه ووضع الحلول نجدها قد حللت الظواهر وناقشتها، ورسمت ومهدت الطريق إلى الحل.

– ففي قصة أصحاب الكهف والتي تمثل فتنة الدين، فتنة الإيمان والكفر نجد المولى سبحانه وتعالى يرسم لهم طريق الحل والنجاة بعد اجتهادهم وأخذهم

بالأسباب من خلال اعتزالهم قومهم وما يعبدون من دون الله وقد عبر عن ذلك بأسلوب الأمر الإنشائي فجاءهم الأمر من الله " **فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ**" فلما أووا إلى الكهف سألوا ربهم التماساً "**رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا** "

فماذا كانت النتيجة بمجرد الاستجابة إلى الأمر؟، لقد جاءتهم البشارة "**يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ** " وزاد عليها "**وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا** " ثم في تعقيب على القصة يلمس واقعاً أليماً ومرضاً عضالاً تعانى منه المجتمعات، وهو الجدال المقيت، الذي لا يغنى ولا يسمن من جوع، على عادة الناس فيما يتناقلون من الروايات والأخبار، ويزيدون وينقصون، ويضيفون إلى القصة وإلى أي قصة أخرى من خيالهم فتتضخم وتكثر الأقاويل ويتحول الخبر الواحد إلى أخبار وأخبار.

وإذا بالنص القرآن يوجه الرسول ﷺ والأمة إلى ترك الجدال في هذه القضية أو في غيرها من القضايا تمشياً مع منهج الإسلام في صيانة الطاقة العقلية أن تُبدد في غير ما يفيد وألا يقْفُ المسلم ما ليس له به علم وثيق، فليترك ذلك إلى علم الله ﴿ **قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۬ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا**"﴾.

– ويؤيد هذا ما ورد في قصة ذي القرنين حيث ترك تفصيل المنهج في مرحلتي مغرب الشمس ومطلع الشمس وإنما ذكر المنهج التفصيلي الذي يجب اتباعه في قصة يأجوج ومأجوج لاتصالنا نحن بتلك القصة من حيث الانتفاع بمنهج التعاون والتآزر والأخد بالأسباب .

– وبمناسبة النهى عن علم الماضي يرد النهى عن الحكم على غيب المستقبل وما يقع فيه: ﴿"وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ وعلى الإنسان وهو يفكر ويدبر، أن يشعر أنه إنما يفكر بتيسير الله، ويدبر بتوفيق منه، فلا يشعر بالوحدة والوحشة وهو يفكر ويدبر، ولا يحس بالغرور والتبطر وهو يفلح وينجح: ﴿"وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴾ وكذلك نلمس علاجاً لأمراض الاكتئاب واليأس والقنوط وذلك باللجوء إلى حمى الله، وقد فر إليه أصحاب الكهف فشملهم برحمته وهداه وقد رسم لنا المولى العلاج الشافي لنا في قوله " وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا " بل إن المولى فصَّل لنا الطريق وبيَّن السبيل وهو الصحبة الصالحة في الله، وإغفال الذين يحيدون عن طريق الله " وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ".

– وأما عن فتنة المال والولد والتبطر والغرور والكبر، وهو مرض شائع، فيمن يعيثون في الأرض فساداً، يتباهون بكثرة أموالهم وعتادهم وأولادهم، ولا يأبهون بغيرهم من الفقراء والضعفاء ونراهم يجزلون العطاء لمن لا يستحق ، ويظلمون وينهبون عرق ومال من يستحق. رسم القرآن أحسن وسيلة لعلاج

هذا المرض العضال المتفشي في المجتمع وكان الدواء الناجع هنا بضرب المثل لمن يغتر بما أوتى من مال وعزة ومتاع، في مقابل من يعتز بالإيمان الخالص ويرجو عند ربه ما هو خير ﴿ ۞ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ٣٢ كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا ٣٣ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ٣٤ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ٣٥ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا ٣٦ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا ٣٧ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ٣٨ وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا ٣٩ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ٤٠ أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا ٤١ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ٤٢ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرٗا ٤٣ هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا ٤٤ ﴾ [1]

1 – الكهف الآية 32– 44 .

وكذلك بضرب المثل للحياة الدنيا كلها، يوضح أنها قصيرة زائلة كالهشيم تذروه الرياح " **وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمًا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ** " وكذلك تقرير الحقيقة الباقية في فتنة المال والأولاد " **ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا**".

– وتأتى قصة موسى وفتاه والعبد الصالح لتضع لنا دستوراً، وترسم لنا منهجاً من خلال الأمر والنهى يبين طبيعة وآداب العلاقة بين من يتلقى العلم ومن يلقيه، بين الطالب والعالم.

– فعلى الطالب الاتباع للمعلم والصبر على تلقى العلم، وعدم الإلحاح على المعلم في الكشف عن أسرار وكوامن ما يجريه العالم من تجارب وأبحاث فقد تكون الحكمة في تأخير الإفصاح عن تلك الأسرار أجدى و أَوْتَى في بناء شخصية المتلقي، كما يجب على الطالب أن يقوم بالاعتذار لسيده إذا ما أخطأ بتعجل التلقي حتى لا يؤاخذه أستاذه، وإذا تكرر ذلك الخطأ بما يضير الأستاذ و يقربه من نفاد صبره فعليه أن يفارق معلمه بالحسنى. وهذا هو ذات المنهج الذي لقّن به المولى الرسولﷺ من خلال الوحي.

– ﴿ **فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا** ﴿١١٤﴾ ﴾[1]

1 - طه 114

– وعلى المُعلم أن يبين من البداية طريقة الحوار والنقاش بينه وبين تلميذه، وكذلك لا يرهق تلميذه من أمره عسرًا ويلتمس له الأعذار وعلى الطالب أيضًا أن يتجنب التعليق على ما يجريه الأستاذ من تجارب لا يعلمها بكلمات تؤذي أستاذه نحو: ﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴾ وكذلك: ﴿ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴾ وهأنذا عزيزي القارئ أضع لك خطوطًا من القصة ترسم لك طبيعة تلك العلاقة ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ ﴾، ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ ﴾ ﴿ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ ﴾ ﴿ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ ﴾ ﴿ فَلَا تُصَـٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴾[1]

وأما الأوامر والنواهي وكذلك الأسلوب الخبري في قصة ذي القرنين فترسم حقيقة العلاقة بين القائد وشعبه، فقد قال الله لذي القرنين عن قوم مـــــا ﴿ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ ﴾ [2]، فكانت الحكمة والتيسير، و﴿ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ ﴾ [3] فهو يعذب ويردع بمنهج الله ﴿ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [4] ويثيب بمنهج الله، كما أن عليه الاجتهاد والسعي أخذًا بالأسباب..﴿ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ ﴾،﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ ﴾سَبَبًا ﴾ وعليه أيضًا اتخاذ

---

1 – الكهف من آية 69 إلى آية 76.

2 - الكهف آية 86.

3–الكهف آية 87.

4–الكهف آية 88.

المنهج التربوي في علاج ما يواجهه من مشكلات ولا يستأثر بحل تلك المشكلات وحده، بل عليه أن يشرك أصحاب المشكلة معه ليتعلموا ويتدربوا على مواجهة المشاكل فلا يكونوا عالة على قادتهم، وليتعلموا أيضًا كيف يواجهون مشاكلهم المستقبلية فلا يتواكلون على غيرهم ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ﴾ [1]،﴿ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ ﴾

وتختتم السورة ببيان أفق الرسالة التربوية الكاملة الشاملة التي تتلقى عن الله الذي تتقاصر دونه الأبصار وتنحسر دونه الأنظار

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [2].

فهذا جواز المرور والفلاح والنجاح .

1–الكهف آية 95.

2 الكهف آية 110.

النظرة الرابعة
الكهف والغيب

وأتناول فيها قضية الغيب وقد يظن القارئ في بادئ الأمر أن هذه النظرة تتشابه مع ما سبق تناوله، في خيط العلم في **نظرتنا الثانية:** الكهف والكون، فالنظرة الثانية كانت تركز على التفاوت في العلم النسبي بين المخلوقين، وبيان أن العلم المطلق لله سبحانه وتعالى، أما نظرتنا هذه فالتركيز فيها على الغيب المطلق الذي ليس فيه ذلك التفاوت النسبي في علم المخلوقين.

ولو تتبعت أخي القارئ مادة العلم في السورة الكريمة لوجدتها تكررت في السورة اثنتي عشرة مرة بين فعل ومصدر، وأفعل تفضيل، ولو أضفت إليها ما في معناها من الكلمات من غير مادة العلم نحو: ﴿ لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ۝٧ ﴾ [1] ﴿ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا ۝١٢ ﴾ ﴿ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ﴾ ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ﴾ ﴿ قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ۝٨٣ ﴾ ﴿ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ۝٩١ ﴾ ﴿ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ۝٨٥ ﴾ ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۝٩٢ ﴾ ﴿ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى ﴾ ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلاً ۝١٠٣ ﴾ ﴿ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝١٠٤ ﴾ ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ۝١٠٩ ﴾ [2] لجاوزت الثلاثين .

---

1 – الكهف آية 7.

2– ا لكهف آية 7 ، 12، 48،82، 91،101،103،104،109

ولو أحصيت صيغة أفعل وحدها لوجدتها أربع ولو أضفت إليها الكلمات الأخرى من صيغتها لجاوزت أيضًا خمس عشرة مرة.

ماذا يعنى كل هذا؟!

إن سورة الكهف على دقة آياتها وإيجازها تثير كثيرًا من قضايا الغيب وحواجزه . فحواجز الغيب في السورة الكريمة ثلاثة : **أولها** حاجز غيب المكان، **وثانيها** حاجز الزمن الماضي **وثالثها** حاجز غيب المستقبل، وهناك حاجز غيب أخر يمكن إضافته وهو حاجز النفس البشرية وما يخفيه الإنسان في داخلها، إن هذه الحواجز والحُجب الغيبية تضفي على ذلك الجمال المستور في السورة كهوفًا أخرى من المعاني والمساتير .

ومن بين الأسئلة العديدة وكهوف المعاني التي تثيرها السورة ما يلي:

كيف يكون الضرب على الآذان والربط على القلوب؟، وما الفرق بين هذه وبين الوقر في الآذان والشد على القلوب؟ هل تطلع الشمس بمعنى تصعد، أم أننا فهمنا الطلوع من خبرة دنيانا وليس من نظام الكون؟ وما الفرق بين الطلوع هنا والطلوع في آيات السور الأخرى مثل قوله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ** ﴾ [1] ﴿ **فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ** ۝٥٥ ﴾ [2] ﴿ **فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحًا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ** ﴾ [3]

---

1 – آل عمران آية 179 .

2 – الصافات 55.

3 – القصص 38 .

كذلك تثير السورة قضية من أدق قضايا الغيب وهي قضية البعث والحساب والجزاء وتلقى بالظلال على بعض مشاهد يوم القيامة من تسييرٍ للجبال وبروزٍ للأرض وكذلك الحشر.

ولو حاولنا أن نسأل أنفسنا في بعض أحداث السورة الدنيوية لوجدنا أيضًا أن أغوار وكهوف الغيب لازالت تسيطر على المعاني، ومن ذلك نسأل:

أين ذهب أحد الفتية عندما بعثه الآخرون إلى المدينة ليأتي لهم بطعام ؟! وهل عاد إلى الكهف ؟ وكيف تم العثور على أصحاب الكهف؟ وهل بنوا عليهم بنيانًا أم اتخذوا عليهم مسجداً؟

ما هي الحكمة في أن يظل عدد أصحاب الكهف مجهولاً؟ ومن هم القليل الذين عرفوه..؟ وكيف عرفوه يقينًا؟ ولماذا لبثوا ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعًا؟ ولماذا بعد أن حدد المولى مدة لبثهم في الكهف ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعًا قال: ﴿ **قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ** ﴾ كيف كانت جنتا صاحب الجنتين، وكيف توازنت الأعناب مع النخيل مع الزروع مع الماء؟ وما الذي أحاط بثمرهما؟ وكيف يتجاور أو يتحاور الاستبداد والاستعلاء مع الخضوع لله ؟ ومن أي نوع كان شرك صاحب الجنتين؟.

لماذا ذهب سيدنا موسى إلى العبد الصالح؟ بمعنى هل كان يريد أن يتعلم أشياء محددة؟ وبمعنى أخر هل عرض العبد الصالح المسائل الثلاث على سيدنا موسى لأن تلك هي التي صادفته أم تلك المسائل هي وحدها التي أراد سيدنا موسى أن يعرفها ؟!

من هو فتى موسى؟ وما قصتهما مع الحوت؟ وهل حقيقة أن الحوت كان ميتًا دبت فيه الحياة فقفز من المكتل إلى الشاطئ إلى البحر؟ أما كان حيًا ولم يترك البحر أبدًا ؟ وكيف اتخذ سبيله في البحر عجبًا؟

هل يقتل العبد الصالح كل غلام يلقاه، ويخشى أن يرهق أبويه طغيانًا وكفرًا؟ وإذا كان الأمر كذلك فما بال الذي قال لأبويه: أف لكما، وقالا له ويلك آمن؟!

من كان ذو القرنين ترجيحًا.. وهل كان يمشي وحده أو كان يمشي في جماعة أو في جيش جرار ؟!

أين يكون مغرب الشمس، ومطلع الشمس، أو بين السدين؟

طلب القوم أن يجعل لهم سدًا... فقال ذو القرنين أنه سيجعل لهم ردمًا، هل هناك فرق بين هذا وذاك.. وكيف بني الردم؟ وكيف يكون شكل ذلك الردم؟ بحيث إذا رأيناه الآن نتعرف عليه ونقول: إن هذا هو ردم ذي القرنين؟

هل ينتهي كل مشهد من سورة الكهف عند حدوده؟... أم أنه يتداخل في حدود مشاهد أخرى؟ أو بمعنى أخر هل هناك علاقة تجمع بين أشخاص السورة من أصحاب الكهف إلى ذي القرنين؟

إن هذا السؤال الأخير يبرز سر تسمية السورة بالكهف:

فكهوف الغيب والمعاني ككل آيات الله ذات جمال مستور... وعلينا أن نقف أمامها ونطيل الوقوف، ونقف أمامها ونطيل التأمل والدعاء، ونركز البصر، ونوجه القلب.. حتى يفصح الحرف عن بعض أسراره

وتسمح الكلمة بأن تستجلي عُمقَ أو بعض أغوارِها.. وتفصح الآية عن بعض مكنونها، ويجب أن يكون حالنا مع السورة الكريمة وكذا القرآن كله كحال المرتحل على سفر على الأقدام طويل: قد نبطئ وقد نسرع، وقد يأذن الله في بعض الأحيان فلا نسير أو نعدو بل ننطلق، وما توفيقنا إلا بالله.

النظرة الخامسة
الكهف والكتاب

فتية أهل الكهف إنما هم فتية تبين لهم الهدى في وسط ظلام كافر، عز عليهم أن يروا قومهم وقد اتخذوا من دون الله آلهة ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ﴿١٥﴾ ﴾ [1]وعزَّ عليهم أيضًا أن يعيشوا مع هؤلاء الناس ففروا بدينهم من بطش قومهم فاعتزلوهم واعتزلوا ما يعبدون من دون الله من أوثان وأصنام، فماذا كانت النتيجة؟ كان الأمر الإلهي الأول ﴿ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ ﴾ وماذا كانت الثمرة ؟ ﴿ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ ﴾ وماذا أيضًا ؟ ﴿ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ﴿١٦﴾ ﴾ [2] ليصعدوا إلى كهف النجاة وقد يجدونه: " قاعًا صفصفا"، وقد يعانون في سبيل الصعود إليه "عوجاً وأمتا" وبمجرد أن آووا إلى الكهف سألوا ربهم رحمة من لدنه: ﴿ إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ﴿١٠﴾ ﴾[3].

وكذلك كان الرسول ﷺ يعاني صدود قومه عن دعوة الإيمان والحق والصراط المستقيم التي يدعو إليها. بل إن البعض قد جاوز حدود الكفر فقال:

---

1 – الكهف آية 15 .

2 – الكهف آية 16 .

3 – الكهف آية 10 .

﴿ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ ﴾ وقد كبر ذلك على قلب وفؤاد الحبيب صلى الله عليه وسلم فاشتد حزنه وألمه وزاد وعلا همه وغمه ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ ﴾، ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ ﴾ [1] . فماذا كان حبل النجاة هذه المرة ؟! وقد أمر الله الرسول ﷺ أن يقول: ﴿ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ ﴾[2].

لقد كان حبل النجاة في ذلك الأمر الإلهي الأول بعد ختام القصة ﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ﴾، موقناً ﴿ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ وما النتيجة ؟! فلن تجد أعظم من هذا الكتاب موئلا وملجأ وكهفًا تأوي إليه ﴿ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ ﴾[3] فبم يمتاز هذا الكتاب كمأوى وملجأ وحبل نجاة عن كهف أصحاب الكهف؟.

هذا ما أفصح عنه صدر السورة﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ ﴾[4] ﴿ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ

---

1 – الكهف آية 5–6 .

2 – الكهف آية 24

3 – الكهف آية 27 .

4 – الكهف آية 1 .

﴾ [1] لذا كان كمال الحمد لله في ختام الإسراء قولا: ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ﴾ [2] وكذا تمام الحمد به كتاباً في استهلال الكهف ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ وكان الحمد الجامع الشامل في أم الكتاب وفاتحته حيث لم يقتصر وصف الكتاب كما في الكهف بأنه ليس له عوج وقيم بل زاد عليه بأن كان صراطًا مستقيمًا ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ ﴾ متميزا بأنه ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ [3] يسمو ويرقى من يعتصم بحبل هذا الكتاب مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا ﴾ [4]، ليس إلى العروة الوثقى فقط من هذا الحبل المتين مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ ﴾[5] والتي وردت في حق المحسن وقد وصف المولى سبحانه وتعالى تلك العروة الوثقى في سورة البقرة بأنها ﴿ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا [6] بل إنه يرقى فيعلو من خلال

---

1 – الكهف آية 2 .

2 – أخر سورة الإسراء

3 – فاتحة الكتاب .

4 – آل عمران آية 103 .

5 –لقمان 22.

6 – البقرة 256.

خلال هذا الصراط المستقيم فيعتصم بالله بالطريق المباشر وليس من خلال حبل أو عروة وثقي ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ [1].

– وإذا كانت قصة أهل الكهف ومعها الكهف قد حدها زمانها ومكانها وأثرها على أصحابها، وطبيعة الكهف المادية فإن الكتاب وهو الصراط المستقيم لم يحده أي من هذه الحواجز وقد وصفه الرسول ﷺ فقال :" فيه نبأ من قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، هو حبل الله المتين ونوره المبين والذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة، ولا تتشعب معه الآراء، ولا يشبع منه العلماء ولا يمله الأتقياء ولا يخلُق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا: إنا سمعنا قرآنا عجبا من علم علمه سبق، ومن قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أُجِر، ومن دعا إليه هُدِى إلى صراط مستقيم. حار فيه رءوس الكفر فقالوا فيه: والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وأن أسفله لمغدق".

وبعد فالكهف مادته لبنات في أحضان جبال، والكتاب مادته آيات بين دفتي كتاب لو نزلت تلك الآيات على هذه اللبنات لخشعت وتصدعت لها أمهاتها من الجبال.....

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ [2].

---

1 –آل عمران آية 101 .

2 – الحشر آية 21.

ويجمع بينهما أيضا أن قصة أصحاب الكهف صارت نوراً ونبراساً لقومهم من بعدهم ، وصارت أيضا قرآناً وهداية لعموم الناس من بعدهم .

ولعله من باب تجديد نشر الرحمة اتباعِ سنة الرسول ﷺ في المداومة على قراءة سورة الكهف كل جمعة فلقد صارت من الكتاب .

النظرة السادسة
من فتحة الكهف إلى فتحة الغار

قد يجمع بين الكهف والغار أن كليهما فجوة في بطن الجبل، على اختلاف وتباين وتفاوت في سعة كل منهما وأنهما أيضًا كانا نزلا لعباد الله من الأولياء، وكذا لسيد الأنبياء، وكذلك أن جميع الهدايات والرسالات هتفت بها نداءات الوحي من على قمم الجبال أو من حولها إلا أن بينهما من الفوارق ما يحتاج أن نطيل الوقوف والتأمل، ونركز البصر، ونوجه القلب.

- فالغار(غار حراء) ولج فيه صلى الله عليه وسلم وهو عين رحمة الله:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ والكهف نشر الله فيه من رحمته:﴿ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ١٦ ﴾.

- توجه رسولنا الكريم إلى غاره الذي يعرفه اعتزالا بالاختيار، وأوى أصحاب الكهف إلى كهفهم فرارًا بالاضطرار.

- وظفر صاحب الغار في غاره بالآيتاء ولاذ أصحاب الكهف في كهفهم بالإيواء.

- نور الغار لدُنِّى مباشر من الله: ﴿ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ ﴾ وياله من نور ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ ونور الكهف كان بطريق الأسباب من خلال فجوة بالكهف تزاور فيها الشمس عن كهفهم ذات اليمين عند طلوعها، وتقرصهم ذات الشمال عند غروبها.

– نور الغار امتد فعمَّ نوره مشارق الأرض ومغاربها على طول الزمان واتساع المكان، وصاحبه خاتم وسيد الأنبياء، ونور الكهف حده زمانه ومكانه لم ندركه إلا من قصص الرحمن وأصحابه بعض الأولياء.

أُنْزِلَ الكتاب على صاحب الغار في ليلة هي خير من ألف شهر عطاؤها يتجدد كل عام، ولبث أصحاب الكهف في كهفهم ثلاثة مائه سنين وازدادوا تسعا، وظنوا أنهم لبثوا يومًا أو بعض يوم.

– بَعثُ الغار كان إحياءً لموات القلوب وظلام الأرواح، اهتزت معه القلوب بالإيمان وأشرقت لنوره الأرواح، وكان ميلادًا جديد لعموم الإنسان ﴿ **أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ** ﴿١٢٢﴾ ﴾[1].﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ** ﴾[2] وبعث الكهف كان إحياءً وميلادًا جديدًا لأجساد أصحابه ودينهم.

– صاحب الغار "غار ثور" كان في ذروة الإيمان وسنام اليقين بالله فقال لصاحبه ﴿ **لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا** ﴾ فكانت الثمرة ﴿ **فَأَنزَلَ ٱللَّهُ**

---

1 – الأنعام آية 122.

2 – الأنفال آية 24 .

سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ ﴾ [1] لم يرها أعداؤه ونصره الله بأوهن البيوت وأرق الخيوط بيت العنكبوت ، وأوقع أعدائه في شراك الأسباب استخفافا واستهزاء بأعدائه، وأما أصحاب الكهف فقد سألوا الله بالافتقار إلى ربوبيته فقالوا: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ١٠ ﴾ [2] فأجابهم الله بطريق الربوبية أخذًا بالأسباب ﴿ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ١٦ ﴾[3] وضرب على آذانهم بعد أن ربط على قلوبهم وكان من جنده الأجرام الكبيرة من خلقه، فجعل الشمس ﴿ ..... إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُ ﴾ [4] وما أجمل تعدي الفعل تزاور بحرف المجاوزة عن راسمًا صورة الشمس أُمَّا حانية تجتهد في إخفاء صغارها أو فراخها عند خروجها عن عيون الأعداء فتتحرك مبتعدة عن كهف صغارها جاذبة إليها الأنظار ساترة عنهم تلك العيون، حتى إذا ما اطمأنت على زوال الخطر نجدها تختلس الفرصة عند رواحها وقد أظلمت العيون فتسارع فتقرضهم من حنانها

---

1 – التوبة آية 40

2 – الكهف آية 10 .

3 – الكهف آية 16 .

4– الكهف آبية 17

ودفئها وعطائها وضيائها ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝٧ ﴾[1] ﴿ وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾[2] .

– ومن الموافقات الجميلة : أن الرسول ﷺ وصاحبه قد أويا إلى الغار " غار ثور " فراراً كما أوى أصحاب الكهف إلى كهفهم ثم كانت الهجرة المباركة من الغار تأسيساً لمسجد المدينة ومجتمع الإيمان الجديد، فكذلك صار الكهف بعد ذلك مسجداً وإيذاناً بنهضة إيمانية .

1 – الفتح آية 7 .

2 – المدثر 31

على هامش الكهف والغار

أولاً: المحراب والمسجد

كان في المحراب بشرى غيرت واقعًا، ما كان يظن أحد أن يتغير ولا أن يتبدل إذ كان الواقع يدل على عجز تام من كل وجه من الوجوه، عبرت عنه آيات القرآن الكريم: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ ﴾ [1] والواقع الذي أحاط بزكريا عليه السلام كان واقعًا أليما يدعو إلى اليأس والقنوط كما عبرت عنه الآيات، فمن أين له بالولد؟! ولكنه وهو النبي المرسل لا يعرف القنوط، بل يعرف الأمل ويعرف أن الله لا يتخلى عن الصالحين فأوى إلى حصن الدعاء كما أوى أصحاب الكهف وصاحب الغار فدعا ربه ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٨٩ ﴾ [2] فمتى وأين جاءته الملائكة بالبشرى؟! لقد جاءته البشرى وهو قائم في محراب العبودية والطاعة الخالصة لله:﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٣٩ ﴾ [3].

---

1 – مريم آية 4– 5 .

2 – الأنبياء آية 89 .

3 – آل عمران آية 39 .

و**المسجد:** وهو في سورتنا الكريمة كان قصد الذين غلبوا على أمرهم ليقتفوا أثر ومنهج أصحابهم من أهل الكهف أهل الإيمان وهو في كل زمان ومكان المأوى والملاذ، ولا يُقصد بالمسجد المكان الذي يتوجه إليه المسلمون فقط بل المدرسة الكبرى التي تخرج الأبطال في كافة مجالات الحياة، أبطال الحرب وأبطال السلم، وأبطال العلم والريادة . أبطال لإقامة منهج الله على الوجه الذي يرتضيه الله. وواقع المسلمين اليوم بين الأمم بما فيه من ضعف بيِّن، وعجز واضح، وتأخر ملموس في كثير من جوانب الحياة يدعونا أن نلتمس الطريق، ولا بداية للطريق إلا من المسجد الذي لا يدعى فيه مع الله غيره.فعلى المسلمين أن يركنوا إلى ربهم ليتغير واقعهم، وأن يكون المسجد بداية انطلاقهم، ومعيناً لهم على التوجه إلى الله، والفرار إليه والرجوع إلى دينه، والتمسك بكتابه وسنة رسوله، ﴿ **وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ** ﴾ [1]وتأمل معنى كل **مسجـــد:** إنه السبيل والمقصد لتغير الحال وبُدُوِ الصلاح ولا ننسى أن زكريا كان قائمًا يصلي في المحراب حين جاءته البشرى، وأصحاب الكهف ظفروا بالإيواء داخل الكهف وهم قابضون على دينهم فارين إلى ربهم، وصاحب الغار ظفر بالإيتاء والنبوة والرسالة وهو فيه.

---

1 – العراف آية 29 .

ثانيًا: القلب والقبر

ضاقت الحياة بزخرفها وزينتها ولعبها ولهوها على قلب رسول الله ﷺ فأوى إلى الغار اعتزالا بالاختيار فتنزلت عليه الرحمات والبركات واتسع الغار وأنار لأعظم رسالة في تاريخ البشرية، وكذا أهل الكهف ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم فلم يطيقوا أن يتنفسوا هواءً يتنفسه معهم كفار بالله فآووا إلى الكهف فنشر لهم ربهم من رداء رحمته. وكذا القلب المؤمن العامر بالإيمان الفقير بالجاه، الغني بالله هو كهفه وغاره يأوي إليه ليحيا مع أحياء القلوب فقراء الجيوب، فما ظنك بقلب ليس فيه سوى الله ؟!.

وإذا كان القبر يصير روضة من رياض الجنة لأن به عبدًا ميتًا صالحًا، فما بالك بقلب حي صار سريرا لمعرفة الله وعرشا لإلهيته ومحبته. لقد وجب أن يكون ذلك القلب أشرف البقاع فكأن المولى يقول لعبده: قلبك بستاني وجنتي بستانك فلما لم تبخل عليَّ ببستانك فكيف أبخل عليك ببستاني- يقول المولى في حديثه القدسي في ذلك القلب الذي خرج من ظلمات الغفلة إلى نور اليقظة، ومن ظلمات المعصية إلى نور الطاعة، ومن ظلمات الهوى والنقائص إلى نور التقوى والنفائس، ومن ظلمات الكثائف واللفائف إلى نور اللطائف والشفائف " ما وسعنى أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن"

النظرة السابعة
العبودية والولاية في سورة الكهف

يشيع عبير العبودية والولاية لله سبحانه وتعالى وثمرتهما في سورتنا الكريمة بصريح الأقوال، ومقتضى الأحوال، وكذا ينتشر شرر وكير العبودية والولاية لغيره في ذات السورة الكريمة بما يجعلها مع بعض الآيات الكريمة من السور الأخرى مادة ثرية لمناقشة موضوعهما خاصة وقد هيأت سورة الإسراء وهي قبل الكهف مباشرة في الترتيب للموضوع بإثبات العبودية لله وبيان ثمرتها في مستهل قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾[1] وكذلك ختمت السورة الكريمة بنفي الولد ونفي الشريك في الملك، وتنزيه المولى عن الحاجة إلى الولي والنصير: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾ ﴾ [2] وكان ذلك على سبيل الإجمال ثم تلتها سورة الكهف ببيان طرف من تلك العبودية والولاية على سبيل التفصيل من خلال قصصها الكريم والتعقيب عليه، فماذا تقول الآيات في العبودية لله والعبودية لغيره: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ

---

1 – أول سورة الإسراء.

2 – أخر سورة الإسراء.

ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴿١﴾ ﴾ [1] ﴿ وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ ﴾ [2] وكذلك في قصة موسى والعبد الصالح:﴿ فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ﴾ [3]وكذلك في ختام السورة بإثبات العبودية لله: ﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[4] وماذا تقول أيضًا الآيات في الولاية لله والولاية لغيره؟ : ﴿ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ﴿١٧﴾ ﴾[5] ﴿ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ﴿٢٦﴾ ﴾ [6] ﴿ هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّ ﴾ [7].

وقوله تعالى : ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا ﴿٥٠﴾ ﴾ وقد جمع بين اللفظين في قوله تعالى: ﴿ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوۡلِيَآءَۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ نُزُلٗا ﴾ [8]

وتبرز معاني العبودية والولاية لله وثمرتهما وكذلك العبودية والولاية لغيره وعاقبتهما من خلال التماس وجه المقابلة والمفارقة والمفاصلة بين

---

1 – أول سورة الكهف.

2 – الكهف آية 16.

3 – الكهف آية 65.

4 – أخر سورة الكهف.

5 – الكهف آية 17.

6 – الكهف آية 26.

7 – الكهف آية 44.

8 – الكهف آية 102.

وجهي القصة الواحدة إيمانًا وكفرًا والتي تبرز معاني العبودية والولاية لله ولغيره وكذلك ثمرتهما وعاقبتهما.

والسؤال الآن الذي يطرح نفسه: كيف يصير الإنسان عبدًا لله ومن أوليائه .

- أولاً: فالعبودية بإيجاز هي إعلان البيعة والعبودية لله وحده كما نصت على ذلك فاتحة الكتاب ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾ وهي عمليًا امتثال الأمر واجتناب النهي ورفض الشهوات والمشينات، فمن وصل بتطهير قلبه عن الشيطان والنفس والدنيا وبكثرة الذكر إلى العبودية فقد ظفر بخير عميم، ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ۝١١٠ ﴾ [1].

وهي أيضًا تجديد للعهد والعقد الذي أخذه الله على عباده في الأزل: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ۝١٧٢ ﴾ [2] ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ [3] أما الولاية فقد عرفها وحددها المولى سبحانه وتعالى فقال عن الأولياء إنهم: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾

---

1 – أخر سورة الكهف.

2 – الأعراف آية 172 .

3 – الروم آية 30 .

وأبان الله رعايته لهم، وعنايته بهم فقال سبحانه وتعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [1]وزاد الله سبحانه وتعالى تفضلاً بالنسبة لهم فقال: ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ ثم أكد سبحانه وتعالى بذلك بقوله: ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ [2]، ثم بين نفاسة الثمار التي تُجني من الولاية فقال:﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾[3].

والولاية ولايتان فولي يتولى الله، خرجت ولايته من عين المجاهدة: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ فصحت ولايته والثمرة ﴿ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [4].

- وولى يتولاه الله خرجت ولايته من خزائن المنن على بساط المحبة فتمت ولاية الله له بقوله ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ ﴾ [5] ففرق بين ولايتين فعبد يتولى الله وعبد يتولاه الله فهما ولايتان صغرى وكبرى، وإن شئت فقل: هما ولاية الإيمان وولاية الإيقان الأولى دلالتها: ﴿ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ والأخرى دلالتها:﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ ﴾ وإن شئت فقل: ولاية الصادقين وولاية الصديقين، وسورتنا الكريمة

---

1 – يونس آية 62 .

2 – يونس آية 64 .

3 – يونس آية 64 .

4 – المائدة آية 56 .

5 – الأعراف آية 196

يبرز فيها صورة تلك الولايتين. ففي قصة أصحاب الكهف، كانت الولاية الصغرى من خلال اعتزالهم قومهم وما يعبدون من دون الله بطريق الأخذ بالأسباب: ﴿ وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ ﴾ [1]وكان إيواؤهم إلى الكهف من عين الولاية الكبرى من الله:﴿ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ١٦ ﴾ [2].

وكذلك فإنه في قصة صاحب الجنتين انطلقت ولاية الصاحب من الولاية الصغرى حين قال لصاحبه وهو يحاوره: ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا ٣٧ ﴾ [3]إلى الولاية الكبرى حين أقر: ﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴾ [4] إلى أخر قوله: ﴿ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [5].

– وكذلك في قصة موسى والعبد الصالح في المواقف الثلاثة من خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار، فقد خرجت ولاية موسى ورحمته من عين الافتقار إلى الأسباب وخرجت ولاية العبد الصالح ورحمته من عين التعلق برب الأسباب، وقد أوجزت الآية الكريمة الولايتين: ﴿ فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ

---

1 – الكهف آية 16 .

2 – الكهف آية 16 .

3 – الكهف آية 37 .

4 – الكهف آية 38 .

5 – الكهف آية 40 .

عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ﴿٦٥﴾ ﴾ [1] فلا عجب أن يكون ختام قول العبد الصالح نابعًا من تلك الولاية ﴿ رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ﴾[2].

ولعل من اللطائف التي تؤيد ذلك المعنى ذلك الالتفات الجميل من ضمير الخطاب في قوله تعالى:رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ ، إلى ضمير التكلم في قوله تعالى: وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ، حيث يشير الالتفات إلى أنه قد يتساوى موسى مع العبد الصالح في أن كليهما كان ينشد الرحمة في المواقف الثلاثة. ولكن من الذي صدقت رحمته فوافقت مشيئة الله عز وجل؟.

إنه العبد الصالح الذي آتاه الله العلم اللدني كما يشير إلى ذلك عجز الآية "وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا "

وأما ذو القرنين فمعظم سيرته خرجت فيها ولايته من عين النوع الأول الذي أوتي ﴿ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ﴿٨٤﴾ فَأَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ ﴾ ﴿ ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ ﴾ [3] وختمت بالنوع الثاني وهم من يتولاهم الله: ﴿ قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا ﴿٩٨﴾ ﴾[4] هذا وقد ذكر رسول الله ﷺ علامة أوليائه الصالحين فقال: "الذين إذا رُءوا ذُكِرَ الله عز وجل" وقد أجلَّ الله

---

1 – الكهف آية 65 .

2 – الكهف آية 82 .

3 – الكهف آية84 ، 89 .

4 – الكهف آية 98.

قدر العبودية والولاية في الحديث القدسي: الذي أخرجه البخاري في صحيحه: "من عادى لي وليًا فقد آذنني بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي عليها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت، وأكره مساءته ولابد له منه" . ذلك لأن الأولياء قد خرجوا عن تدبيرهم إلى تدبير الله، فجعلوا الله مكان همومهم فدفع عنهم الأغيار، وقام لهم بوجوب الانتصار.

النظرة الثامنة
الكهف والجمعة والمسيح الدجال

السؤال الذي يتبادر إلى الذهن: ما العلاقة بين سورة الكهف والجمعة والمسيخ الدجال، أما عن علاقة السورة بيوم الجمعة: فقد روي الثوري عن أبي هاشم به من حديث أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين الجمعتين". وقد أخرجه الحاكم في مستدركه وقال عنه حديث صحيح الإسناد ولم يخرجه، ورواه الحافظ أبو بكر البيهقي في سننه عن الحاكم.

وأما علاقتها بالدجال فقد أخرج أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان وجماعة عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ " من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة المسيح الدجال" وفي رواية من أخر الكهف، ويجمع بين يوم الجمعة والدجال ما جاء عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة قال: إن رسول الله ﷺ قال: ألا أدلكم على سورة شيعها سبعون ألف ملك، ملأ عِظَمُها ما بين السماء لتاليها مثل قالوا بلى يا رسول الله قال: سورة أصحاب الكهف من قرأها يوم الجمعة غفر له إلى الجمعة الأخرى، وزيادة ثلاثة أيام وأعطى نورًا يبلغ السماء ووقي فتنة الدجال. "ذكره الثعلبي والمهدوي أيضًا بمعناه.

والسؤال ما وجه الربط والعلاقة الواضحة بين ما ورد في سورة الكهف والمسيح الدجال؟! والإجابة بإذن الله أن القصص الأربع في سورة الكهف تحتوي على أربعة صنوف من الفتن هي عين ما جاء به الدجال من الفتن.

– فتنة أصحاب الكهف كانت في الدين والبعث – والدجال سوف يجري الله على يديه أشياء من مقدوراته من إحياءٍ للموتى الذين يقتلهم فيفتن الناس، ويطلب منهم عبادته من دون الله فهذه فتنة الدين.

– وصاحب الجنتين كانت فتنته في المال والولد – والدجال سوف ينفث الفتنة في المال والولد حيث يُجري الله على يديه أمثال هذه الفتن فيأمر السماء بالمطر فتمطر وتخصب الأرض ويكون على يديه ظهور زهرة الدنيا والخصب.

– وفتنة العلم وهي أبرز ما تكون في قصة موسى وفتاه والعبد الصالح – كذلك يجري الله على يدي الدجال تلك الفتنة فيخبر الناس ببعض الغيب من الأخبار وهذه فتنة العلم.

– وفتنة السلطة وهي ما يتمتع بها ذو القرنين في سورة الكهف – فإن المسيخ الدجال يسيطر على أجزاء كثيرة من الأرض، فهذه فتنة السلطة.

هذه هي الموافقات بين فتن سورة الكهف وفتن الدجال، وأعجب ما في السورة الكريمة أن إبليس محرك خيوط هذه الفتن يظهر في السورة الكريمة، في الآية الخمسين متوسطًا القصص الأربع فقبله قصتا أصحاب الكهف وصاحب الجنتين وردت خلال التسعة والأربعين آية السابقة على ظهور إبليس. وكذلك قصتا موسى والعبد الصالح، وذو القرنين فقد ظهرتا في التسع والأربعين آية التالية حيث ينتهي القصص عند الآية التاسعة والتسعين، في إشارة بديعة إلى أن محور الشر ومحرك كل هذه الفتن هو إبليس العدو الأول للإنسان خليفة الله في الأرض﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ**

فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾ [1]

– ويبدو سر عظمة وجمال سورة الكهف أمام هذه الفتن أنها قدمت العلاج الشافي، وألقت بقوارب النجاة من هذه الفتن فكيف تم ذلك..؟

أما عن فتنة الدين فعلاجها في تلاوة القرآن، والصحبة الصالحة، والدعوة إلى الله، وهي عين ما جاءت به الآيات 27، 28، 29 بعد سرد قصة أهل الكهف.﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾ [2]

﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾[3]

﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾[4].

---

1 – الكهف آية 50 .

2 – الكهف آية 27 .

3 – الكهف آية 28 .

4 – الكهف آية 29 .

– أما قارب النجاة من فتنة المال والولد فيكمن في معرفة حقيقة الدنيا والتذكرة بأحوال الآخرة ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمًا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ [1]، ﴿ ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ﴿٤٦﴾ ﴾ [2].

﴿ وَيَوۡمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُم مَّوۡبِقٗا ﴿٥٢﴾ ﴾ [3]. ﴿ وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمۡ يَجِدُواْ عَنۡهَا مَصۡرِفٗا ﴿٥٣﴾ ﴾[4].

– وأما قارب النجاة من فتنة الاغترار بالعلم فتكمن في معرفة أن فوق كل ذي علم عليم واتباع أهل العلم والتواضع لهم، وكذلك الصبر وعدم العصيان للأمر.

﴿ فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ﴿٦٥﴾ ﴾ [5]

﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ﴿٦٦﴾ ﴾ [6]

---

1 – الكهف آية 46 .

2 – الكهف آية 47 .

3 – الكهف آية 52.

4 – الكهف آية 53.

5 – الكهف آية 65 .

6 – الكهف آية 66 .

﴿ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ﴿٦٩﴾ ﴾ [1]

– وأخر قوارب النجاة هــو قارب النجاة من فتنة السلطة ويكون بركوب قارب الإخلاص والعمل الصالح: ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [2].

– وإلى جانب الحديث النبوي الذي يجمع بين تلاوة سورة الكهف يوم الجمعة والمسيح الدجال، فلعل الفتنة في جانبي الدين والعلم أبرز ما تكون من خلال إلهاء إبليس الناس عن النداء إلى الصلاة، ودرس الخطبة وذكر الله بعد الصلاة واستفتاء العالم أو الإمام في أمور الدين، وكذا فتنة المال والولد وتبرز من خلال التجارة التي تكون الفتنة فيها أشد ما تكون وقت الصلاة، حيث يكثر الرواد إلى المسجد فيترصدهم التجار والبائعون لاهين أنفسهم وغيرهم عن الصلاة، وإلى تلك الفتن أشار الكتاب الكريم كما أشار إلى علاجها في قوله. تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [3].

---

1 – الكهف آية 69 .

2 – أخر سورة الكهف.

3 – الجمعة آية 9 – 11.

النظـرة التاسعة
المشيئة للّه

كان الرسولﷺ يتوق ويتشوف أن يستجيب قومه لدعوة الإيمان والإسلام لله سبحانه وتعالى، وكان يحزنه ويؤلمه عدم الاستجابة التي يلقاها من قومه: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ ﴾[1].

ولذا فإن الرسولﷺ بمجرد أن سأله قومه بالأسئلة الثلاثة التي لقنها لهم أحبار اليهود وهو يطمع في إيمانهم رد عليهم قائلاً: أخبركم بما سألتم عنه غدا ولم يتنبه في غمرة التماسه إيمان قومه أن يقول – إن شاء الله – فمكث خمس عشرة ليلة لا يأتيه الوحي حتى أرجف أهل مكة به، وقالوا: وعدنا محمد غدًا، واليوم خمس عشرة ليلة فشق هذا عليه، ثم نزل جبريل بالكهف، وفيها معاتبة له على حزنه لعدم إيمانهم بما أنزل عليه وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطواف وقوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴾[2]، وتعليمه تقديم المشيئة لله في كل الأمور، فالله هو الفعال والقيومية له سبحانه وتعالى.

ومما تفردت به كهوف المعاني في هذه السورة الكريمة في أمر المشيئة قوله تعالى:﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ ﴾ ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [3] فلقد تكررت لفظة شيء مائتي واثنتي مرة في القرآن كلها بنفس الرسم

---

1 – الكهف آية 6 .

2 – الكهف آية 85 .

3 – الكهف آية 23 – 24 .

"شيء" بدون ألف وسطية زائدة إلا موضع آية الكهف في إشارة بليغة إلى أن الألف القائمة في هذا الموضع بالذات، وبعد الأسئلة الثلاثة من قومه عن غيب لا يعلمه إلا الله للفت الأنظار إلى قيومية الله تعالى للأشياء وإلى أن انفعالها للإنسان لا يكون إلا بمشيئته سبحانه وتعالى ومما يؤكد ذلك قوله تعالى في نفس السياق:﴿ **وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ** ﴾ أي أذكر ربك الذي قامت به الموجودات ولا يفوتك التناسب بين المد بالألف في كل من لفظتي **لِشَاْىۡءٍ** و**يَشَآء**

ولا تظننَّ أيها القارئ أن اللفتة والتنبيه اقتصرت على الرسم العثماني فقط، إني أدعوك إلى النظر والتأمل في الآيتين مرة أخرى:﴿ **وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىۡءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا** ﴿٢٣﴾ ﴾ ﴿ **إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ** ﴾ [1] فقد فصل الله بين المستثنى منه في الآية الأولى والمستثنى في الآية الثانية وكان حقهما بظاهر لغتنا الوصل في إشارة بديعة أنه لا تجتمع مشيئة مع مشيئة المولى سبحانه وتعالى، بل المشيئة والقيومية له وحده.

– ويؤكد سبحانه ذات المعنى في كهف ظاهره الأسباب وباطنه وحقيقته قدرة الله سبحانه وتعالى حينما يوجه اللوم والعتاب للظالم نفسه على لسان عبده المؤمن: ﴿ **وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ** ﴾ [2]، تلك المشيئة التي تمتد وتصاحبنا حتى الوقوف بين يدي الله، وحتى خلودنا إن شاء

---

1 – الكهف آية 23 – 24 .

2 – الكهف آية 39 .

الله في الجنة، وخلود آخرين في النار، ويلعب الفصل والوصل بين الآيات دوره أيضًا في بيان طلاقة هذه المشيئة: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [1] فالفصل بإفادة أن المولى يخرج من النار من يشاء من عباده فهو فعال لما يريد.

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [2] والوصل بشارة بدوام بقاء وخلود أهل الجنة بمشيئة ربهم فعطاؤه غير مجذوذ.

---

1 – هود آية 106 – 107 .

2 – هود آية 108 .

الباب الثاني

اللمسات القرآنية

اللمسة الأولى
بين تسبيح الإسراء
وحمد الكهف ونهر الحمد الشامل في الفاتحة

ففي ليلة الإسراء هتف الكون مسبحًا الله على هذا الحدث الخارق بهذا التسبيح المتفرد إجلالاً له سبحانه وتعالى وعرفانًا له بأن أعظم المنن والنعم على خلقه هي نعمة العبودية التي كان من ثمرتها الإسراء والمعراج متمثلاً في خاتم النبيين الذي أهداه المولى في نهايتها بأعظم هدية لعباده يعرجون بها إلى ملكوته سبحانه وتعالى وهي الصلاة، والتي قال ﷺ:"**الصلاة معراج أمتي**" وقال تعالى: ﴿ **سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١** ﴾ [1]، وتختتم السورة بحمد الله وتقرير وحدانيته بلا ولد ولا شريك، وتنزيهه عن الحاجة إلى الولي والنصير: ﴿ **وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ۝١١١** ﴾[2].

ويتنزل "حمد الإسراء" ويتهادى فيدلف إلى الكهف فيتعانق مع حمده ليشيع نور الحمد العظيم على نعمة المنهج القرآني بإنزال الكتاب، مستقيمًا مهيمنًا. ثمرته التوحيد الخالص للمولى سبحانه وتعالى فلا يكون هناك حجة للناس على الله بل الحجة عليهم:﴿ **ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ**

---

1 – أول سورة الإسراء .

2 – أخر سورة الإسراء .

يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴾، ﴿ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا ۝٢ ﴾ [1]

وجمع كل أنواع الحمد حمد الفاتحة أم الكتاب فبعد إعلان:﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ بما تشير به إلى الخلافة عن الله وإلى أن طبيعة هذه الخلافة أنها منحازة إلى الرحمة تمامًا وجب أن يكون الحمد لتلك الرحمة السابغة التي شملت جميع العالمين ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾ وللعدل التام المتمثل في قوله تعالى:﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ ولا عجب حينئذ في إعلان أن البيعة والتسليم لله بالعبودية التامة والاستعانة الكاملة ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ﴾ وهي عين الحمد الذي استهلت به الكهف:﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴾[2]. وأشار إليه في الفاتحة قوله تعالى:﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ ﴾

هذا ومن أعجب ألوان التسبيح والحمد الكوني التي تُعَرِّضُ بغفلة الإنسان تسبيح وحمد الرعد:﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ ﴾ [3] فعمر الرعد لحظة "هي كل عمره" يولد فيها فيسبح بحمد ربه ثم يموت ونحن منساقون

---

1 – أول سورة الكهف .

2 – أول سورة الكهف .

3 – الرعد آية 13 .

وراء ظاهرٍ من الحياة الدنيا وعن الآخرة غافلون ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾[1].

اللمسة الثانية

ميزان زينة الحياة الدنيا، والباقيات الصالحات، والجبال

في أول السورة يبين المولى سبحانه وتعالى، أن ما على الأرض ما هو إلا زينة، وأن الناس خلقوا لإحسان العمل، وتلك وظائفهم في الحياة: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧ ﴾ [2].

وفي إطار أمر الله لرسوله ﷺ بالصبر مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يذكر المولى طبيعة من يحيد عن الحق، ويريد زينة الحياة الدنيا ويعمل لأجل تلك الزينة:﴿ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ۝٢٨ ﴾ [3].

وقرب منتصف السورة يضرب الله مثلاً للحياة الدنيا يبين حقارة زينتها وهوانها على ربها: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ۝٤٥ ﴾ [4]، ويقارن بين من يغتر بزينتها ومن لا يأبه بها ولا يعول

---

1 – الروم آية 7 .

2 – الكهف آية 7 .

3 – الكهف آية 28 .

4 – الكهف آية 45 .

عليها ويعمل الباقيات الصالحات الراسخات يرجو ثواب ربه: ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [1]، ثم يعطف سبحانه وتعالى السياق بآية قد يبدو ظاهرها أنها غريبة عن السياق، لو رنوت النظر وأمعنت التأمل والتدبر لتكشف لك عمق الصلة، وعظمة وحلاوة السياق: ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ ﴾ [2].

وقرب نهاية السورة ترسم لنا السورة بالميزان القويم والقسطاس المستقيم: ﴿ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ ﴾ وزن كل من الفريقين الأخسرين أعمالاً، والذين آمنوا وعملوا الصالحات: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ﴾ ﴿ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ [3]﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ [4].

لو نظرنا إلى طبيعة وثقل الموزون في كل من كفتي الكفر والإيمان من خلال الألفاظ الواردة في السورة لتبين لنا الفرق الشاسع بين الوزنين.

---

1 – الكهف آية 46 .

2 – الكهف آية 47 .

3 – الكهف آية 103 – 1050

4 – الكهف آية 107

تُرى ماذا يكون في الكفتين؟! ضع هذه الألفاظ في كفة ﴿ زِينَةَ ﴾، ﴿ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾، ﴿ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ﴾، ﴿ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ – وضع تلك الألفاظ في الكفة الأخرى: ﴿ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾، ﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ﴾ ﴿ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ ﴾.

إن الزينة بخفتها وتفاهتها وسهولة زوالها وزوال قيمتها، والهشيم المتساقط والشجر تذروه الرياح، لا ثقل له ولا وزن، فرطًا، أي شتاتًا لا مركز لثقله فهو خاوٍ ملئ بأشياء غير مؤهلة للثبات على الميزان أو تصنع ثقلاً.

أما الكفة الأخرى بما فيها من أحسن الأعمال وأيضًا الباقيات الصالحات الراسخات الثابتات، وتأمل هنا العدول عن قول الأعمال الصالحات إلى الباقيات الصالحات في رسم صورة الثقل بضخامته، وعمقه، ورسوخه، وثباته، وكذلك تأمل قوله: ﴿ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾ في ميزان البقاء والخلود، وكذا لفظة ﴿ نُزُلًا ﴾ فضلاً عما فيها من ظلال الإنعام والتكريم والضيافة الطيبة، فإنها توحي أيضًا بأهلية وثقل ميزان من يجلسون في جنة الفردوس، إن الميزان القويم والقسطاس المستقيم أفصح عن البون الشاسع بين ثقل الكفتين.

والعجب يزول حينئذ من سر العطف أو الاستئناف بآية:﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ ﴾ [1]، مباشرة

1 – الكهف آية 47 .

عقب آية ﴿ ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ٤٦ ﴾ [1].

فالآية توضح أن الجبال يوم القيامة وهي الأثقل بطبيعة الحال من زينة الحياة الدنيا تفقد رسوخها وثباتها، وتكون الباقيات الصالحات من الأعمال أرسخ منها وأثبت.

إن هذه النسب وتفاوتها الشاسع يوم القيامة تبينها سورة القارعة ﴿ ٱلۡقَارِعَةُ ١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ٣ يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ٤ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ ٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ٧ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ٩ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ١١ ﴾ [2].

ٱلۡقَارِعَةُ: ـــــــ يقابلها يَوۡم ـــــــــــــ إشارة إلى يوم القيامة

يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ، وكذلك خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ـــ يقابلها: زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا

ٱلۡجِبَال كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ ـــــ يقابلها: نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ.

فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ : ـــــــ يقابلها وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ .

---

1 – الكهف آية 46 .

2 – سورة القارعة .

إن الهوان للأخسرين أعمالا لا منتهى له، والبشارة للذين آمنوا وعملوا الصالحات أثقل وأجل وأرفع من الجبال . لقد طاشت كفة الأخسرين أعمالاً أمام ثقل كفة الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

وبعد أرأيت حلاوة النظم، ودقة المعاني، وعظمة السياق.

اللمسة الثالثة : نُزل ونُزل

جاء في الكهف: ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَـٰفِرِينَ نُزُلاً ﴿١٠٢﴾ ﴾[1] وكذلك ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلاً ﴿١٠٧﴾ ﴾[2] والمعنى الأصيل للنزل لغة كما يقول الزركشي: هو الذي يقدم للنازل تكرمةً له قبل حضور الضيافة، ويقول الراغب الأصفهاني والنزل هو من الزاد ﴿ فَلَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلاًۢ ﴾ [3] وجاء في أساس البلاغة للزمخشري وهو حُسن النزل، والنزالة، وأعد لضيفه النزل، وطعام ذو نزل، ورجل ذو نزل: أي "ذو فضل"، ويقول الجاحظ: "والعذاب لا يكون نزلا، لكن لما قام العذاب لهم في موضع النعيم لغيرهم، وفيه سُمِّي باسمه . وهنا يكمن سر المفارقة، ومن هذا التضاد يتأتى معنى التهكم بالمخاطب بهذا المصير الذي ينتظره، فإذا كان النزل للراحة، والاستقرار والدعة فإن هؤلاء "هذا نزلهم" الذي لا راحة فيه ولا دعة ولا استقرار بل ؛ عذاب مقيم " .

---

1 – الكهف آية 102 .

2 – الكهف آية 107 .

3 – السجدة آية 19 .

اللمسة الرابعة: وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد

كنت في ضيافة أحد الأثرياء في فيللته العريضة، ولاحظت أن بداخل الفيللا كلبًا يمرح، ويلعب في أرجاء وأنحاء الفيللا، فنبهت صاحبه إلى كراهية وحرمة ذلك وأشرت له بالحكم الفقهي موضحًا له العلة بأن سؤر الكلب يختلط بلعابه وهو نجس ولكن يجوز اقتناؤه فقط للحراسة خارج المنزل، كما ذكرت له ما يؤيد ذلك من أحاديث الرسول ﷺ فإذا بذلك الثري يبادرني مستنكرًا بأن ذلك من باب تشدد الفقهاء وعلماء الدين، مستشهدًا بوجود الكلب مع الفتية أصحاب الكهف في القرآن الكريم، لأتنبه إلى حقيقة دقة النظم القرآني وكذلك الاستعمال الدقيق للفظة القرآنية حيث تشير لفظة "الوصيد" إلى موقع ومكان الكلب قريباً من باب الكهف وهو ما تشير إليه مادة "الوصيد" ، كأنه يحرسهم . لقد صرح القرآن بمكان ووظيفة الكلب، ويشير إلى ذلك تطرف الكلام أيضاً عن الكلب في سياق الآية الكريمة: ﴿ **وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ** ﴾ [1].

كما يشير إلى ذلك أيضًا العدول إلى اسم الفاعل "باسط" داخل إطار الجملة الاسمية ﴿ **وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ** ﴾ ويشير أيضاً إلى ثبات مكان الكلب وثبات هيئته. كما يفيد حرف العطف بالواو مع دلالاته على المغايرة على وجه العموم التأكيد على المغايرة المكانية إلى جانب المغايرة للجنس والتي

---

1 – الكهف آية 18 .

تتوافق تمامًا مع قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ وهو ما سوف أشير إليه في لمسة سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ.

اللمسة الخامسة: جنتا المؤمن

قال تعالى في سورة الكهف في قصة صاحب الجنتين ﴿ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَـٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [1] وفي لمسة فريدة يختار التعبير كلمة (تَظْلِم) في معنى تنقص وتمنع لتقابل بين الجنتين وصاحبهما الذي ظلم نفسه فبطر ولم يشكر. وازدهي وتكبر، إن اللفتة والإشارة إلى نعمة تكريم الله بخلق الإنسان على الصورة الكريمة، كانت توجب على الإنسان الحمد والشكر والقيام بحق هذا الخلق الكريم﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ ﴾ [2] فما وهبه الله لعبده من حواسه وجوارحه الظاهرة وسرائره الباطنة هي جناته وأنهار الخير التي يجب أن يفجرها في الأرض ينابيع لأنه الخليفة عن الله . ويشير المولى إلى طرف مما أنعم الله على عباده من هبات وجنات ظاهرة وباطنة ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَـٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ ﴾ [3] فَبِمَ قابل هذا الإحسان ؟!

---

1 – الكهف آية 33 .

2 – الانفطار آية 6– 8.

3 – البلد آية 8 .

أعطاه الله قوة فاغتر بها، وأنعم عليه بمال فضنّ به وجعل له عينين فلم يبصر بهما إلا الحرام وميزه بالنطق وأعطاه أداة الحكمة فنطق لسانه ونبست شفتاه بغيرها، وأودع فيه القدرة على إدراك الخير والشر، والهدى والضلال، والحق والباطل فأبت نفسه الولوج في طريق الخير واقتحام العقبة وما أدراك ما العقبة﴿ **فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝١٤ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝١٥ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۝١٦** ﴾ [1].

إن مشيئة الله اقتضت أن تخلق الإنسان بهذا الازدواج طبقًا لحكمة الله في الخلق، وإعطاء كل شيء خلقه، وتيسيره لوظيفته في هذا الوجود:﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠** ﴾[2].

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: " كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة: العينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطأ، والقلب يهوي ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه" متفق عليه، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: إياكم والجلوس في الطرقات"قالوا: يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بد، فنتحدث فيها، فقالﷺ فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه، قالوا وما حق الطريق يا رسول

---

1 – البلد آية 11 – 16

2 – الشمس آية 7 – 10

الله، قال: غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" متفق عليه.

تلك هي الأنفس التي ينشدها رسول الله ﷺ لتزكو وتنجح وتفلح وتتفجر خلالها أنهار الخير والمعروف وينابيع النور والهداية، هم الذين وصفهم المولى بأنهم قد أفلحوا وربحت تجارتهم، وأثمر حصادهم وترعرع:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ﴾[1].

وانظر إلى قوله تعالى في سورة النساء: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ ﴾[2] والسؤال لماذا حرص المولى سبحانه على تعويض القبض أو الظلم للحركة الذي حدث من قتل نفس مؤمنة ببسط في حرية وحركة نفس مؤمنة كانت مقيدة الحركة بالرق؟!.

إن المعنى كبير وخطير ويضع الإنسان أمام مسئوليته في الخلافة التي جعله الله من أجلها، إن حلقات ودوائر النفع للنفس المؤمنة عديدة، تنطلق بداية من مركز الدائرة الصغيرة ذات النفع الخاص بإيمان صاحبها، ثم دائرة نفع أسرته في الفرع والأصل، فدائرة العائلة الكبرى والأهل في العموم، فدائرة الجيران، فدائرة الحي والمجتمع، فدائرة وطنه، وختامًا دائرة الأمة الإسلامية كلها، انظر إلى دائرة الرسول ﷺ وقد تجاوز قطرها الأرض مخترقًا السموات حتى العرش. وإذا أردت أن تعرف مدى الظلم الذي تقع فيه، فانظر

---

1 – أول سورة المؤمنون .

2 – النساء آية 92

إلى حالك ووقع بيديك دوائر نفعك للغير وانظر إلى قطرك لتعرف مدى بسط أو قبض وظلم دائرتك وكذلك قصر قطرك ؟!

اللمسة السادسة: رسل وعباد

رد العبد الصالح على طلب موسى بالاتباع له بأنه لن يستطيع معه صبراً، ووجه إليه السؤال:﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴾ [1].

وفاجأ الهدهد سليمان حينما أوشك سليمان أن يحكم عليه بالعذاب، أو الذبح أو في أحسن الأحوال بالإتيان بسلطان مبين بنفس القول:﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ ﴾ فما القضية التي تجمع بين القولين بحيث تبيح لكل من العبد الصالح والهدهد مخاطبة رسل بتلك القوة؟!

– جاء في سورة الكهف:﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[2] ففي قوله تعالى هنا كهف يستر حقيقة... فموسى رسول الله.... والرسول هو المبلغ عن الله... ومن هنا فالمفروض أن كل علم يأتي عن طريقه... لأنه مكلف بإبلاغ الرسالة، ولكن سبحانه وتعالى يريد أن يخبرنا أنه ليس على مشيئته قيود وليس لها حدود... فهو يفعل ما يشاء ويختار، ومن هنا فقد يختار عبدًا من عباده فيؤثره ويؤتيه علمًا في قضية ما لم يؤته لأحد من رسله، والحكمة في ذلك لله وحده . وقد ظهرت الحكمة لموسى حينما فسر له العبد الصالح المواقف الثلاثة، بل إن العبد الصالح فاجأ

---

1 – الكهف آية 68 .

2 – الكهف آية 65 .

موسى في نهاية قصتهما معًا بقوله: ﴿ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ﴾ [1] وزالت بذلك كل الكهوف والحجب والأستار.

وفي قصة سليمان مع الهدهد ما هو أعجب من ذلك، فلقد فضل الله داود وسليمان على سائر عباده بآيتائهم من علمه: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [2] والهدهد أيضًا وهو من جند سليمان: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[3] يُفترض نظريًا ألا يتفوق على سيده في العلم، ولكن الله يؤتي من علمه ما يشاء لمن يشاء، لذا فلم يرهب الهدهد تهديدات سيده سليمان بالذبح أو التعذيب، بل ألقى بالمفاجأة الضخمة لسيده، بفطنة وحكمة عجيبة طغت على موضوع غيبته، بل وضمنت إصغاء الملك له: ﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾[4] فماذا عسى أن يكون ذلك النبأ اليقين الذي لا يعلمه ولا يعرفه سليمان ولقد آتاه الله هو وأباه من علمه ؟!

إن أعظم مراسل صحفي قد رصد كفرًا لا يمكن السكوت عليه بل لا يمكن انتظار إذن سيده له ، فهو وسيده عبدان لله .

تمثَّل هذا الكفر في امرأة هي ملكة وقومها رعية لها يسجدون للشمس من دون الله عبر عنه في كلمات هي قمة في الإدراك والإيمان والذكاء

---

1 – الكهف آية 82 .

2 – النمل آية 15 .

3 – النمل آية 17 .

4 – النمل آية 22 .

والإيجاز البليغ: ﴿ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ٢٣ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ٢٤ أَلَّا يَسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ٢٥ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٦ ﴾ [1] بتلك الحجة ، وذلك المنطق، والبرهان الذي دفع الملك العادل الحازم ألاَّ يُعَوِّلَ على موضوع الغياب بأكثر من قوله ﴿ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٢٧ ﴾[2]، بل دفعه إلى تكليف ذات الجندي الأمين الفصيح اليقظ الإيمان واليقين بحمل رسالة التوحيد والإصلاح والهداية التي تشكل قوام اسمه على مقطعيه (هُدهُد) فيلقيها من الأعالي بما يناسب مقام وفحوى الرسالة على البقعة الموصومة والمشبوهة بالسجود لغير الله ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣٠ ﴾ [3]، إن كلمة الخبء التي استعملها الهدهد كما يقول صاحب الظلال كناية عن كل مخبوء وراء ستار الغيب في الكون العريض إجمالاً سواء، أكان هو مطر السماء ونبات الأرض أم كان هو أسرار السموات والأرض، ويقابله مع الالتفات بقوله: ﴿ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴾ [4] بما يشير إلى الخبء في أطواء النفس ما ظهر منها وما بطن،

---

1 – النمل آية 23 – 26.

2 – النمل آية 27.

3 – النمل آية 30.

4 – النمل آية 25.

ومن العجيب أن العلماء قد أثبتوا أن طائر الهدهد يرصد طعامه وغذاءه بعينين كالردار، مما هو مخبوء تحت طمي الأرض وقشرتها، أرأيت كم هي خبرة الهدهد في استعمال لفظة الخبء وكذلك النبأ.

ومن لطائف التوافق والإشارات بين قصة الهدهد في النمل وقصة الجدار في الكهف، هو أن صلاح الآباء يكون سبب البركات والرحمات التي تتنزل على الأبناء، فقد كرم المولى سبحانه وتعالى جنس الهدهد بتحريم ذبحه أو قتله أو أكله تكريمًا لأبيهم هدهد سليمان المؤمن اليقظ الصالح حامل رسالة التوحيد والإصلاح، وكذلك أكرم الله الغلامين بحفظ الكنز لهما لأن أباهما كان صالحًا: ﴿ **وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا** ﴾.

والدرس المستفاد من القصتين إجمالاً إلى جانب معرفة أن طلاقة المشيئة لله وحده التي عبرنا عنها أثناء سرد القصتين هو أننا يجب أن نتعلم أن لا نغفل ونكتم مواهب التابعين، بل يجب أن نعطيهم الفرصة، ونفسح لها المجال ليعبروا عن مواهبهم، فيقول كل منهم ما عنده أو ما لديه من فهم وعلم، فلا نستهين به أو نحجبه لأننا جميعًا خلفاء عن الله في خدمة الأمة والمجتمعات.

واللفتة أيضًا أنه إذا تمادى الفاجر في فجوره، وتمادى الأبرار في خوفهم وجبنهم وسكوتهم عن النهي عن المنكر، اشتد غضب الله فعمَّ الفجار والأبرار ﴿ **وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗ** ﴾ وهو ما رد به سيدنا عمر على السؤال : " أتوشك القرى أن تخرب وهي عامرة" فقال: "إذا علا فجارها على أبرارها".

اللمسة السابعة : غِرة موسى في الصبر

التبست الأمور على موسى فنسى العهد الذي قطعه على نفسه بالصبر والتزامه السكوت وعدم السؤال عما يراه حتى يحدث له العبد الصالح منه ذكرًا﴿ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ﴿٦٩﴾ ﴾ [1] فكانت الغرة والنسيان لذلك العهد في ظاهر القبض والسلب، القبض لخير السفينة والسلب لحياة الغلام. فلم يصبر موسى على ذلك وعلق على الحدثين قائلاً: ﴿ لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا إِمۡرٗا ﴿٧١﴾ ﴾ [2] ﴿ لَّقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا نُّكۡرًا ﴿٧٤﴾ ﴾ [3] والعجيب أن أول الاعتراضين جاء مناقضًا تمامًا لقوله: **وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا**، فكلامه الظاهر بملء فيه من خلال فتح همزة **أَمۡرٗا** كسره وناقضه فصارت اللفظة **إِمۡرٗا** في إشارة بليغة بأن النيات إنما تُعرفُ عند معاقد الرايات، ولما نبهه العبد الصالح مرتين بالعهد الذي قطعه على نفسه بالصبر وعدم السؤال حتى يحدثه به نفسه جدد موسى العهد، وعقد العزم، بل شدد على نفسه بألا يعود مرة أخرى إلى السؤال عما يراه شيئًا إمرًا أو نُكرًا، ظانًا بذلك أنه قد حجب نفسه عن الوقوع في الخطأ مرة أخرى، لكن ابتلاء الصبر أوسع مما في طاقته فجاءته الغرة تلك المرة من عكس ما يظنه وهيأ نفسه للصبر عليه، لقد جاءته الغِرّة هذه المرة من عين البسط والجلب بسؤال المعاملة بالمثل في إقامة الجدار في قرية

---

1 – الكهف آية 69 .

2 – الكهف آية 70 .

3 – الكهف آية 74 .

أبى أهلها أن يطعما موسى وصاحبه، ولم يستطع موسى مرة ثالثة مع حرصه النجاح والصمود في ابتلاء واختبار الصبر.

لقد أمد الله أمة محمد بما يعينها على الصبر فيما تلاقيه من كل صنوف البلاء والابتلاء فوجهها التوجيه العظيم باغتنام كنز الصبر والصلاة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [1] بل إنه في إطار هذا التصوير والتوجيه يحثهم على الاعتصام بهما رغم ما يلاقونه من شدة: ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾[2] في لمحة عظيمة إلى أن الصبر والصلاة معياران عظيمان من معايير الصدق والإخلاص والخشوع لله، ويشير المولى إلى عظمتهما في عملية إعادة البناء الفردي، والمجتمعي، وتقويم وتصحيح مساره:﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَاۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًاۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [3] فطوق النجاة وقارب الحياة يكمُن في الصلاة والاصطبار عليها وإحسان الصلة بالله.

---

1 – البقرة آية 153 .

2 – البقرة آية 45 .

3 – طـــه آية 132 .

اللمسة الثامنة: نسبية الزمن

أوضح لنا المولى سبحانه وتعالى وأعلمنا بالمدة التي قضاها أصحاب الكهف في كهفهم قائلاً:﴿ وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا ﴾ ثم أردف قائلاً: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [1]، وكان قد أعلمنا بالمدة كما أشارت الآية السابقة.

تُرى ما السر في ذلك؟!

يقول الدكتور: منصور حسب النبي في كتابه (الإشارات القرآنية للسرعة العظمى والنسبية)

كل متحرك في الكون يحمل زمنه معه، والزمن الذي نقيسه ونحن على الأرض يختلف عن الزمن المقيس على الكواكب الأخرى، لأن مدة العام الواحد هي مقياس لزمن دورة الكواكب حول الشمس، فالسنة على كوكب عطارد تعادل 88 يومًا، والسنة على كوكب المشترى تعادل حوالي 12 سنة من حساب الزمن على الأرض.

ويضيف الباحث قائلاً: وبذا يتضح السر في قوله تعالى:﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ بعد إعلامنا بتلك المدة، لأن عدد السنين المذكور في الآية يختلف تقديره من مكان إلى مكان في هذا الكون – فالمدة التي لبثها أصحاب الكهف في كهفهم بقياس الزمن على كوكب المشترى مثلاً تكون 25 سنة من السنين على كوكب المشترى.

---

1 – الكهف آية 25– 26 .

وهكذا يختلف الزمن في الكون باختلاف حركة الراصد، وحركة المرصود ومكانهما، بل وسرعتهما. فتبارك الحق سبحانه وتعالى في قدرته على خلق هذا الكون وإبداعه، وما أنزله في كتابه من دقة البيان، وروعة الألفاظ فقال:﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾، ليشير إلى الحقيقة الدامغة في كتابه وهي: اختلاف الأزمنة في الكون وأن الزمن نسبي وليس قيمةً مطلقة وأن الذي يحيط بعلم هذا كله هو عَالِمُ الغيب والشهادة سبحانه وتعالى.

ويؤكد تلك الإشارة أن المولى سبحانه وتعالى بعد قوله تعالى في سورة السجدة:﴿ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥ ﴾ أردف قائلاً: ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦ ﴾ [1].

وبذلك فقد جمع بين شاهدي الكهف والسجدة أن كلاً منهما قد أعقب نسبية الزمن المذكورة في الآية ما يشير في الآية التي تلي كل منهما إلى أن الله سبحانه وتعالى هو عالم الغيب والشهادة المطلق وأن له غيب السموات والأرض.

---

1 – السجدة آية 5 –6 .

ختام اللمسات
المقابلات القرآنية

تقوم سورة الكهف على أساس المقابلة والمباينة والمفاصلة بين عالمي الإيمان والكفر، عالم من تطلعوا إلى زاد الآخرة، في مقابل من شُغِلُوا بزاد الدنيا.

عالم من نشر لهم الله من رداء رحمته، وعالم من اتبعوا أهواءهم وكان أمرهم **فُرُطًا**.

عالم من عاشوا مع الحقيقة الوضئية، وعالم من عاشوا أسرى الزينة الوضيعة .

عالم من لهم جنات يحلون فيها ذهبًا ويلبسون خُضرًا متكئين على الأرائك، وعالم من أصبحت جناتهم صعيدًا زلقا خاوية على عروشها.

ولذا فإن النسيج الفني للسورة الكريمة يقوم على إبراز تلك المقابلات والأضداد في صورة تمس حس الإنسان، وقلبه ، وعقله ، ووجدانه.

ولا يبقى بعد ذلك إلا أن يختار القارئ أي الطريقين، طريق اليقين والإيمان الذي لا يتطرق إليه أدنى شك، أو الجنوح إلى طريق الهوى والضلال .

إن السورة الكريمة بهذا النسيج الفني تصور لكل منا كتابه الذي سوف يلقاه ويُنَبَّأُ بما فيه تبعًا لاتجاه حركته التي يختارها، أهي الحركة مع اتجاه

أصحاب اليمين ؟ أم الحركة في اتجاه أصحاب الشمال:﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٧﴾ ﴾ ﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ ﴾[1]

﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمُسۡتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ﴿١٤﴾ وَلَوۡ أَلۡقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ ﴾[2].

وها هي الحقيقة التي ستكون بين يديك يوم القيامة وعند الحساب، فأي الطريقين تختار وإلى أي الفريقين تنحاز؟.

﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴿١٥﴾ ﴾[3].

ومع هذه المقابلات والأضداد في السورة الكريمة نعيش، بعد أن تكون قد اتضحت لنا الصورة الوضئية لأهل الإيمان باختيارهم سبيل الرحمن في مقابل الصورة الوضيعة لمن نزلوا على أهواء الشيطان .

---

1 – الواقعة آية 41 .

2 – القيامة آية 12 – 15 .

3 – الإسراء آية 13 –15 .

المقابلات والأضداد	شواهد الآيات من السورة الكريمة
عِوَجَا ، قَيِّمًا	﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا
والإنذار والتبشير	قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴾
زِينَة	﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧
صَعِيدًا جُرُزًا	وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ۝٨
النوم والبعث واليقظة	قال تعالى:﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۝١١ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا ﴾
التوحيد والشرك	قال تعالى:﴿ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ۝١٤ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ﴾
ضيق الكهف وسعة الرحمة	﴿ فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴾
اليمين والشمال	﴿ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ

الهداية والضلال	ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ﴾
اليقظة والرقود واليمين والشمال	﴿ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾
الذكر والنسيان	﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ ﴾
الغداة والعشى	﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ ﴾
الغفلة والذكر	﴿ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴾
الكفر والإيمان	﴿ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ ﴾
النار والجنة بئس، نعم سوء المرتفق وحُسنه	﴿ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ٢٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ٣٠ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا

	مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾
أكثـــر، أقـــل	﴿ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ ﴿ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَدًا ﴾
الكفـــر والشرك والإيمان والتوحيد	﴿ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلاً ﴾ ﴿ لَّـٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴾
تفجير الماء وغوره	﴿ وَفَجَّرْنَا خِلَـٰلَهُمَا نَهَرًا ﴾ ﴿ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴾
الزينة الهشة والباقيات الصالحات	﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَـٰقِيَـٰتُ ٱلصَّـٰلِحَـٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً ﴾
الصغيرة والكبيرة	﴿ وَيَقُولُونَ يَـٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ﴾
الطاعـــة والسجـــود والفســـق والعصيان والأنـــس والجـــن	﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾
أوليـــاء وأعـــداء	﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ ﴾
السمـــوات والأرض	﴿ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾

البشارة والنذارة والحق والباطل	﴿ وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوٗا ﴾
التذكير والإعراض والنسيان والهداية والغواية	﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ﴾
الرحمة والعذاب	﴿ وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ لَوۡ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلۡعَذَابَ ﴾
النسيان والتذكر	﴿ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ عَجَبٗا ﴾
الاتباع وعدم الصبر على الاتباع	﴿ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ٦٦ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴾
واللقاء والفراق	﴿ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ٧٨ ﴾
طلب الطعام والبخل وعدم الإكرام	﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا ﴾

انقضاض البناء وإقامته	﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ﴾
الإيمان والكفـــر والأقرب رحما والطغيان	﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾
مغرب الشمس ومطلع الشمس	﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ ﴾
	﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ ﴾
العـــذاب والإحســـان	﴿ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴾
الظلم والإيمان والعمل الصالح	﴿ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ﴾
نُزل جهنـــم ونُزل جنات الفردوس	﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلاً ﴾ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلاً ﴾
النفـــاد والمـــداد	﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾
الإله الواحد	﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾
و الإشراك	﴿ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾

كانت الآيات التي عُرضت قبل إجراء المقابلات والأضداد اللفظية والنظمية طرف القوس الأول .

اقرأ معي الآيات التالية والتي تمثل طرف القوس الآخر، أو قوس الحسم . وأنت بعد ذلك بالخيار فاختر ما شئت واعمل لما شئت، فكما تَدِين تُدَان.﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [1].

وها هي ثمرة الطريقين في خواتيم الواقعة:

﴿ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾ [2]

وهذه هي الحقيقة والفصل والختام ومعقد القوس.

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [3]

---

1 – النجم آية 39 – 41 .

2 – الواقعة أية 90 –96

3 – الشمس آية 7 –10.

الباب الثالث
من كنوز الكهف البلاغية

التناسق الفني والأسلوبي لدلالتي
العلم اللدني، والعلم بالأسباب

يقول تعالى في السورة الكريمة عن موسى والعبد الصالح: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [1].

لا شك أن كلا من موسى والعبد الصالح في مواقف خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار، كان ينشد الرحمة من وجهة نظره، ولكن أي منهما صحت وصدقت رحمته ؟ .

إنه العبد الصالح صاحب العلم اللدني . ويتجلى أثر العلم اللدني والعلم بطريق الأسباب في الصياغة الفنية والأسلوبية المصاحبة لردود أفعالهما .

فصاحب العلم اللدني جمله موجزة قصيرة، بل إنه يكاد ألا يتكلم في بعض المواقف فيقينه في القمة لا يحتاج إلى شرح أو تعليل أو تفسير.

وصاحب العلم بالأسباب على النقيض جمله أطول ، وكلماته أكثر . كما أن الفصل والوصل وحروف العطف على اختلاف دلالاتها تلعب دورًا في إبراز الفارق بين العلمين.

انظر إلى تعاور وتنازع العطف بالفاءات والفصل بين الآيات في الدلالة على حال موسى في قوله تعالى: ﴿ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ

---

1 – الكهف آية 65 .

ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [1]

فحذف ياء الفعل "نَبْغِ" مع التعقيب السريع بفاء.. ﴿ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ يشير إلى تلهف موسى على تلقي الإشارة والعلامة الدالة على مقابلة الشخص الذي يريد أن يتعلم منه، فكان الارتداد السريع قصصا رغم طول ومعاناة الرحلة في الذهاب والارتداد الذي عبر عنه الفصل بين الآيتين، رغم التعقيب السريع أيضًا بفاء التعقيب والسرعة في قوله: "فَوَجَدَا عَبْدًا " في إشارة بليغة إلى أنه مع تلهف موسى وحرصه على مقابلة العبد الصالح لا يشعر بما لقيه من تعب ومعاناة وجهد في قطع المسافات، كما يشير الحذف أيضاً إلى إنكار موسى لذاته كطالب أو متعلم في حضور أستاذه ومُعلمه.

كما أن كلمة فَوَجَدَا تلقي بظلال الوجد والشوق واللهفة، فالكلمة بظلالها مع الفاء بسرعتها ترسم لنا الجو النفسي لموسى المشتاق المتلهف على مقابلة صاحب العلم والذي هو أكثر منه علمًا.

وانظر معي إلى كلٍ من العبد الصالح وموسى وتأمل الإيجاز والإطالة في موقف كلٍ منهما في القصص الثلاث.

---

1 – الكهف آية 66 – 67 .

فانطلقا خرقها

انطلاق، وخرق للسفينة بدون كلام أو تعليق.

﴿ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ ﴾ [1].

قول + تفسير وتعليل + تقرير

فانطلقا فقتله

انطلاق، وقتل للغلام مع حركة ذات غاية، وفعل متصف بالسرعة دون كلام أو تعليق

﴿ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ﴾ [2].

قول + تفسير وتعليل + تقرير

فانطلقا فأقامه

انطلاق، وإقامة للجدار مع حركة ذات غاية وفعل متصف بالسرعة دون كلام أو تعليق.

﴿ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ [3]

شرط وجوابه "**لَتَّخَذْتَ**" حذف ألفه. فحذف ألف "اتخذت" دليل على قناعة موسى برأيه وأنه رأى راجح يظن موسى معه موافقة العبد الصالح على ذلك.

ولم يطل العبد الصالح في الكلام والإطناب إلا حينما تكلم بلغة موسى السببية تعليقًا على هذه المواقف:﴿ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ ﴾، وحينما تكرر خطأ موسى زاد "**لَّك**" تنبيهًا لموسى بلغة وإشارة أشد

---

1 – الكهف آية 70.

2 – الكهف آية 74.

3 – الكهف آية 77.

على تكرار خطئه: ﴿ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ ﴾ [1] ، ولما تكرر الخطأ مرة ثالثة قال له: بلغة المفارقة والمفاصلة: ﴿ قَالَ هَـٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ ﴾ [2] وكذلك أطال أيضًا حين تفسيره الأمور الثلاثة لموسى بلغة الأسباب .

– فموسى هنا أقامه الله في نطاق الأسباب والعبد الصالح أقامه الله في نطاق التجريد والعلم اللدني، يقول صاحب الحكم العطائية: "**إرادتك التجريد مع إقامة الله إياك في الأسباب من الشهوة الخفية، وإرادتك الأسباب مع إقامة الله إياك في التجريد انحطاط عن الهمة العلية**"

– انظر أيضًا إلى النظم الحكيم في التعبير عن دلالة العلم اللدني للعبد الصالح، وكذلك دلالتي العلم اللدني والعلم بالأسباب في قصة ذي القرنين في مواقفه وتنقلاته .

– انظر إلى العبد الصالح وهو يأخذ موسى منطلقًا في المواقف الثلاثة، لقد اتصل الانطلاق في قوله تعالى: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ﴾ ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ ﴾ ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا ﴾ بحتى الغائية مع فعل الخرق وكذلك قتل الغلام وإقامة الجدار في نفس ذات الآية في كل حدث ، فضلاً عن فاء السرعة والتعقيب في صدر كل آية.

---

1 – الكهف آية 75.

2 – الكهف آية 78.

بم يوحى ذلك؟!.

إنه يوحي بأن العبد الصالح يتحرك بالعلم اللدني من الله، فلا تروٍ أو إمهال أو انتظار لعرض الأمور على العقل لمناقشتها.

– وانظر إلى ذي القرنين حينما مكَّنَ له المولى في الأسباب:﴿ **إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾** ﴾ [1] كان انفعاله بفاء التعقيب **فَأَتْبَعَ سَبَبًا**، وكان الفصل هنا بين الآيتين إشارة إلى تعامله مع الأسباب سببًا عقب سبب، وكان الفصل أيضًا بين قوله:﴿ **فَأَتْبَعَ سَبَبًا** ﴾ وحتى الغائية في الآية القرآنية التي تليها مباشـــرة كالتالي: ﴿ **فَأَتْبَعَ سَبَبًا** ﴾ ﴿ **حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ** ﴾ [2] وكذلك في قوله:﴿ **ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾** ﴾ ﴿ **حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ** ﴾ [3] وكذلك ﴿ **ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾** ﴾، ﴿ **حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ** ﴾ فما دلالة فصل ﴿ **حَتَّىٰٓ** ﴾ في قصة ذي القرنين دائمًا في آية مستقلة على العكس تمامًا في المواقف الثلاثة للعبد الصالح؟!

إن ذا القرنين هنا يتحرك في إطار الاجتهاد، وإعمال الأسباب، والأخذ بها فيلزمه دائمًا التروي والتوقف وفهم الأمور للحكم عليها، وهذا ما ناسبه فصل حتى الغائية عما قبلها، ويؤيد ذلك استعمال حرف العطف الدال على التراخي "**ثُم**" في الموقفين لبيان شكل الاتباع ، على عكس الاتباع الأول الذي

---

1 – الكهف آية 84 – 85

2 – الكهف آية 86 .

3 – الكهف آية 89 – 90

جاء مقترنًا بالفاء لأنه قد سبقه التمكين له في الأرض وآيتاء الأسباب من قِبَلِ المولى سبحانه وتعالى:﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴾[1].

أرأيت كيف كان الوصل، والفصل، وحروف العطف والإيجاز والإطناب دالاً على كل من العلمين: اللدني والعلم بطريق الأسباب.

– ومن عجائب قصة موسى مع العبد الصالح والتي رددها أكثر المفسرين عند تفسير العبد الصالح للمواقف الثلاثة فأشاروا إلى دلالة اختلاف الضمير الدال على الفاعل في موقفي خرق السفينة وقتل الغلام، وكذلك إظهار الفاعل في موقف إقامة الجدار.

– فقوله: ﴿ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ بضمير الفاعل الدال على المتكلم المفرد فسروه فيما كان شرًا محضًا فنسبه العبد الصالح إلى نفسه.

وكذلك قوله:﴿ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ ﴾ [2] بضمير الفاعلين الدال على الجمع فسروه هنا بما تراوح الفعل فيه بين الشر والخير فنسب العبد الصالح الشر إلى نفسه ونسب الخير لربه. ولكنهم لم يعطوا دليلاً على هذه القسمة؟!

أما قوله:﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا ﴾[3] بإظهار الفاعل وهو الله فيما كان خيرًا محضًا مكتفين بذلك خلبهم وشد أنظارهم ظاهر اختلاف الفاعل في كلٍ " **فَأَرَدت، فَأَرَدْنَا ،فَأَرَادَ رَبُّكَ**" وأغفلوا حقيقتين هامتين.

---

1 – الكهف آية 84 .

2 – الكهف آية 81 .

3 – الكهف آية 82 .

أولهما نظمي: حيث يشير النظم الحكيم إلى دقائق خفية. ففي قصة خرق السفينة، زاول العبد الصالح الخرق بنفسه، ورآه بعينه، وهو ما يراه الناس في ظاهره شرًا محضًا، ولم ينتظر العبد الصالح ليرى الخير الباطن لفعله، لذا تناسب معه استعمال الفعل "**فَأَرَدتُ**" ناسبًا الفعل لظاهر ما فعله بنفسه ويده.

وأما في موقف قتل الغلام، فقد مارس العبد الصالح الفعل بنفسه أيضًا ولم ير الخير بنفسه، ولكن الله أخبره به، فناسب ذلك أن يأتي بفعل الإرادة الدال على إبدال ربهما "**خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا**" منسوبًا إلى المولى في آية مستقلة: ﴿ **فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا** ﴿٨١﴾ ﴾ [1].

وأما في موقف الجدار، فلم ير العبد الصالح الغلامين وكذلك أباهما الصالح فنسب إرادة الخير تامة لله مع إظهار الفاعل ﴿ **فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا** ﴾[2] .

ولا يفوتنا هنا ما يرمي إليه الفصل والوصل بين الآيات، حيث فسر المولى سر قتل الغلام في آيتين على عكس خرق السفينة وإقامة الجدار كل منهما في آية واحدة، ليؤيد سابق ما قلناه.

– ولا يكتفي النظم الحكيم بتلك اللمحة أو اللفتة، بل يضيف إلى ذلك إخبار الله لعباده، بأن الرحمة الخاصة والعلم اللدني لا يكونا إلا من الله سبحانه وتعالى، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ **فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ**

---

1 – الكهف آية 81 .

2 – الكهف آية 82 .

مِن لَّدُنَّا عِلۡمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[1] فتحقق ذلك تحقيقًا بليغًا، ويبرهن على ذلك أشد ما يكون البرهان المواقف الثلاثة، ففي موقف السفينة يقول المولى:﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبًا ﴿٧٩﴾ [2] بما يبدو معه في الظاهر أن في الآية تقديمًا وتأخيرًا. فتقدم قوله تعالى:﴿فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا ﴾ على قوله:﴿ وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبًا ﴾ من باب ربط الأسباب بالمسبب. لو توهمنا ذلك التقديم والتأخير لوقعنا في شراك ظاهر العلم، وظاهر الأسباب، التي تستر حقيقة، فما هي تلك الحقيقة؟.

الحقيقة والله أعلم أن رأس الآية:﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ ﴾ يأتي موافقًا تمامًا ومتناسباً مع قوله: ﴿ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا ﴾ وذلك أن ترتيب إرادة إعابة السفينة على مسكنة أصحابها قبل بيان خوف الغصب هو الأساس، ودليل ذلك أن العبد الصالح لا يبالي بتخليص سفن سائر الناس، مع تحقق خوف الغصب في حقهم أيضًا لأن الملك:﴿ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبًا ﴿٧٩﴾ ﴾ وليس سفينة المساكين فقط.

وأما صدر الآية:﴿ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا ﴾ مع إشارة الفاء السريعة بالتعقيب السريع يقابله عجز الآية "وَعَلَّمۡنَٰه مِن لَّدُنَّا عِلۡمًا" في إشارة بديعة إلى أن العبد

---

1 – الكهف آية 65 .

2 – الكهف آية 79 .

الصالح شرع في تنفيذ ما أمره به ربه بمجرد تلقيه الأمر، دون انتظار لبيان أن ذلك الخرق لأجل أن وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبًا. لأنه يتلقى العلم من لدن ربه، وهو ما اكتهف على موسى، وربما (والله أعلم) يكون العبد الصالح قد أعاب السفينة فعلاً قبل علمه بأمر الملك الغاصب، وهو ما فات على موسى حين بادر بإنكار ذلك على العبد الصالح.

فالهوة والبون شاسع بين كهف وحقيقة العلم اللدني في مقابل ظاهر العلم بطريق الأسباب وهو ما انتهى إليه العبد الصالح بنفس الترتيب للرحمة والعلم في نهاية القصة:﴿ رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ﴾ "أي وما فعلته عن علمي" بما يؤيد ما أشرت إليه بالمعنى الأخير.

إن هذا المعنى يتجلى في موقف إبراهيم مع ابنه إسماعيل فلقد رزق به إبراهيم على كبر وطول دعاء، فلما شب وصار غلامًا وقرت به عينه أوحى إليه ربه أن يذبحه قربانًا إليه: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ ﴾، تُرى ما حال هذا الشيخ وهو مكلف بذبح ابنه أحب أهل الأرض إليه، إنه لو فجعه أحد فيه لقتله الغم، فكيف وهو الذي يكلف بالإجهاز عليه؟! .

لكن إبراهيم عبد الله ورسوله وخليله، الذي لا يعرف الحياة إلا في رضاه، شرع فيما أمره الله به قبل أن تأتيه البشرى والفداء .

وأعود إلى قصة موسى والعبد الصالح، وأضيف إليها رأيًا أخر أدعو الله أن يكون موفقا صحيحًا.

حيث يرى الباحث أن فعل الخشية وكذلك الإرادة في هذه القصة مضاف إلى "نا" الدالة على العظمة والجمع في قوله تعالى: ﴿ **فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا** ﴿٨١﴾ ﴾ [1]، هي بذلك تشير إلى أمور كثيرة، فهي أولاً تتناسب مع عظم الطغيان والكفر وثانيًا تتناسب مع عظم الإقدام على قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، فهي إشارة إلى الحق، وكذلك فهي تشير إلى أن العبد الصالح كان من العظماء في علوم الحكمة فلم يقدم على هذا الفعل إلا لحكمة عالية لدنيه، ورحمة من عند ربه.

كان هذا عن الحقيقة النظمية.

أما عن **الحقيقة التربوية** فكما استهلت آيات المواقف الثلاثة بقوله تعالى: ﴿ **فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا** ﴾ [2].

فقد ختمت المواقف أيضًا بنفس ترتيب الرحمة والعلم:﴿ **رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى** ﴾ [3] وهذا هو الفصل والإحكام في ظواهر ما رآه موسى مع العبد الصالح، فلم يشأ العبد الصالح أن يفاجئ موسى بالإرادة الإلهية، بل علمه درسًا تربويًا، بالكيفية ذاتها التي يفكر بها موسى من باب ربط السبب بالمسبب، فأومأ إليه وأشار بقوله: "**فَأَرَدت**" ثم انتقل به نقلة أعلى وأرقى بقوله: "**فَأَرَدْنَا**" حتى إذا ما انتهى إلى الموقف الأخير هيأ ومهد له فأزاح بعضًا من

---

1 – الكهف آية 81 .

2 – الكهف آية 65 .

3 – الكهف آية 82 .

أستار كهوف ظواهر الأشياء بقوله: ﴿ **فَأَرَادَ رَبُّكَ** ﴾ ثم في نهاية المطاف فاجأه بالحقيقة الكبرى والدرس الذي يجب أن يرسخ في نفس وقلب وعقل موسى:﴿ **رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى** ﴾ فالإرادة كلها لله والرحمة من عنده، وما نحن إلا طرف من فيض رحمته.

ويؤكد ذلك الوصل في آية واحدة في قوله تعالى ﴿ **رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا** ﴿٨٢﴾ ﾾ[1]، فإن السياق الظاهري يقضي بالفصل بينهما خاصة أن الجملة الأولى **رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى** من تمام تأويل قصة الغلامين اليتيمين والجدار، في حين أن الجملة الثانية **ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا** من تمام تأويل القصص الثلاث كلها . فما سر الوصل بين الجملتين؟!

السر في الوصل بين الجملتين يكمن في أن ما ورد كان هو آخر قصة موسى مع العبد الصالح ، فهو مقام الكشف والإفصاح ، كما أن الرحمة بالغلامين هنا هي ذات الرحمة مع أصحاب السفينة وكذلك هي ذات الرحمة مع الغلام القتيل والغلام البديل . فلما انتهى وخلص الحوار القولى بين موسى والعبد الصالح عمد إلى تأكيد ما أخبر به المولى في صدارة قصة موسى والعبد الصالح في آية واحدة تصل بين الرحمة والعلم. "**فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ**

---

1 – الكهف آية 82.

ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا" بنفس الكيفية "رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا" .

– ومن عجائب النظم في تلك الآية أنه قال رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ ولم يقل "رحمة من ربي" اتساقا مع قوله تعالى : وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ، وذلك لأن موسى والعبد الصالح قد يكونا في الرحمة سواء ، ولكنهما في العلم ليس كذلك . فإن العلم الظاهري لدى موسى لم يكفِ في استكناه وكشف موضع وموطن الرحمة في حين أن علم العبد الصالح الذي علمه ربه العلم اللدني كان سبباً في موافقة رحمته الرحمة التي أرادها الله سبحانه وتعالى .

– ولعل من اللطائف أيضاً أن تسبق جملة ﴿ وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا ﴾ جملة رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ حيث تدل علي متعلق بالغلامين اليتيمين ، ولكنها أيضاً تسير في كهف السياق إلى استخراج كنز الرحمة والعلم المكنون والخفي عن وعى موسى وإدراكه .

وهكذا ترتبط كما يقول صاحب الظلال قصة موسى والعبد الصالح بقصة أصحاب الكهف في ترك الغيب لله، الذي يدبر بحكمته، وفق علمه الشامل الذي يقصر عنه البشر، الواقفون وراء الأستار لا يكشف لهم عما وراءها من الأسرار إلا بمقدار.

سبعة وثامنهم كلبهم ودلالة الواو

قال تعالى: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [1] فما دلالة زيادة الواو في قوله: "سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ" ؟!

من العلماء من قال هي واو الثمانية واكتفى بذلك. وأقول والله أعلم: إن تأخير قوله تعالى:﴿ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ عن قوله:﴿ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ﴾ مشعر بأن قولهم حق وصائب.

ويؤيد ذلك وجود هذه الواو حيث إن وجودها يؤكد لصوق الصفة بالموصوف. ويؤكد أن أصحاب هذا الرأي راجح قولهم، ويظهر ذلك أثرًا على دلالة فطنتهم وحُسن أدبهم وتأدبهم في الكلام، وأن كلامهم يصدر عن ثبات علم، وطمأنينة نفس ورجاحة عقل. فلم يرجموا بالظن أولاً. وكذلك فصلوا بالواو بين جنس الإنسان الذي جعله الله خليفة، وكرمه ، وبين جنس الحيوان. وهذا يواكب الخبر الذي ورد عن أصحاب الكهف بنفس الكيفية في قوله تعالى:﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ﴾ [2] فبعد أن أتم الكلام عن أصحاب الكهف بقوله: ﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾ استؤنف الخبر عن الكلب مع إثبات "الواو" بقوله تعالى: ﴿ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ ﴾ .

---

1 – الكهف آية 22 .

2 – الكهف آية 18 .

كما أن الجمع بين الآيتين يفيد أن المعنى ﴿ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ بِٱلْوَصِيد بالإشارة المكانية المتطرفة لمكان وموقع الكلب من الكهف .

وفى النهاية كانت هذه جلوة خاطر عن حوار نفسي ولا مزيد ... فإن رسول الله ﷺ مع علمه اليقيني من الله بعدد أصحاب الكهف قد أمره الله سبحانه وتعالى بأن ينسب العلم بعدتهم إلى الله وألا يمارى فيهم إلا مراء ظاهراً ولا يستفتى فيهم أحداً ﴿ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۖ فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا ﴿٢٢﴾ ﴾ ونحن مع علمنا اليقيني وغير اليقيني أولي بذلك ، ولذا فبهذا القدر والتلميح يكف القلم ويكتفي صاحب القلم ، والله أعلم .

الصلاح في سورة الكهف

ترددت مادة الصلاح في سورة الكهف سبع مرات على النحو التالي: ﴿ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا ﴿٢﴾ ﴾[1]، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ ﴾[2]،﴿ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ﴿٤٦﴾ ﴾[3]﴿ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا ﴾ [4]، ﴿ وَأَمَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلۡحُسۡنَىٰۖ

---

1 – الكهف آية 2 .

2 – الكهف آية 30 .

3 – الكهف آية 30 .

4 – الكهف آية 82 .

وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا [1]﴾، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلاً ﴾[2]، ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [3].

خمس من هذه الآيات جاءت مقترنة بالإيمان في إشارة بليغة إلى أن الصلاح هو حصاد وحرث غرس الإيمان، فلا صلاح بدون إيمان.

وانظر إلى مادتي الإيمان والصلاح في القرآن الكريم تجدهما غالبًا معًا فيما يشبه المصاحبة اللفظية، أما الآيتان الأخريان فقد اقترنتا بالإيمان أيضًا ولكن ليس بطريقة لفظية ولكن من خلال القرينة السياقية فلقد جاءت الآية الأولى: ﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً ﴿٤٦﴾ ﴾ عقب الموقف المتباين لكل من صاحب الجنتين الظالم لنفسه وصاحبه المؤمن الذي قال: ﴿ وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ ﴾.

وأما الآية الثانية فقد جاءت عقب بيان قصة قتل الغلام وجاء في سياقها: ﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ ﴾ [4] فالصلاح والإثمار لا يكون إلا محصلة إيمان صادق.

---

1 – الكهف آية 88 .

2 – الكهف آية 107 .

3 – الكهف آية 110 .

4 – الكهف آية 80 .

وانظر إلى قوله تعالى في سورة إبراهيم ما يؤيد ذلك: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [1] هذا عن كلمة التوحيد والإيمان، فما دلالة صلاحها وإثمارها؟ دلالته قوله تعالى بعدها: ﴿ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [2].

ومن أسرار النظم في الآيات ذلك الاحتباك السياقي، فقتل الغلام الكافر كان رحمة بالأبوين المؤمنين، فماذا عسى أن يكون الغلامان اليتيمان اللذان أبقى الله لهما الكنز لأجل أن أباهما كان صالحًا؟

لا شك أن الغلامين شأنهما شأن أبيهما صالحين وهذا ما أفصح عنه الاحتباك السياقي.

والنظرة التربوية تفيد أن خير تركة من الآباء للأبناء هي تركة الصلاح وأن خير حرث للآباء يكون في صلاح أبنائهم. وهو شجرة الجنة التي تؤتي أكلها كل حين بأذن ربها مع كل عمل صالح يؤديه الآباء والأبناء. ويؤيد ذلك ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له**"

---

1 – إبراهيم آية 24 .

2 – إبراهيم آية 25 .

من دلالات العطف في سورة الكهف

ومن عجائب العطف في قصة موسى والعبد الصالح طرح وحذف فاء جواب الشرط في قوله "**خَرَقَهَا**" وإثباتها في قوله:﴿ فَقَتَلَهُۥ ﴾ ﴿ فَأَقَامَهُۥ ﴾.

لقد كان المتوقع أن يقول السياق: حتى إذا لقيا غلامًا قتله، قياسًا على قوله: ﴿ **حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا** ﴾ [1] ليمضي النظم على نسق واحد فيما هو كالغاية الواحدة، لكن يُفَاجَأُ السامع بهذا الاختلاف، وتسري أنسام الفاء في عروقه، فيدرك سر المغايرة ذلك أن التلازم بين الشرط والجزاء، وترتب الثاني على الأول ليس بلازم أن يتعقب فيه الجواب الشرط لزوم الفاء. فقد يقع الجواب بعد الشرط بزمن طويل كما تقول: إن تسلم تدخل الجنة، فكأن إلقاء وطرح الفاء الدالة على موالاة المعطوف للمعطوف عليه، مشعر بأن العبد الصالح انتظر حتى تحين الفرصة في اختفاء الأنظار، ليكون خرقها في غيبة الأعين، حتى لا يُحال بينه وبين تحقيق ما أراد، إذ لو شاهده أصحابها لمنعوه، أو لبادروا إلى إصلاح الخرق فيفوت عليه ما كان يرمي إليه، ويقصده. وأما عطف قتل الغلام ففيه دلالة على المسارعة بقتله، والتركيز على رد فعل موسى بعد أن اعتذر في الأولى، وكذلك إقامة الجدار من باب أولى.

ومن عجائب دلالات العطف في هذه الآيات ذلك الإسقاط الواضح لرسم طبيعة المجتمعات والنفس البشرية عمومًا. فالخوف والحذر يكون من الناس فيما كان فيه الخطر عامًا محدقًا بالناس جميعًا وحينئذ يهبون جميعًا متعاونين متآزرين لدفع هذا الخطر. وأما إذا كان الخطر شخصيًا أو فرديًا فغلبة الطبيعة

---

1 – الكهف آية 71 .

النرجسية والأنانية تغلب على النفس مادام الخطر يكون بعيدًا عنها، وكذلك لا يكلفها نفع غيرها شيئًا من الغُرم كما في موقف إقامة الجدار.

من دلالات الفاء، وثم، والزمن، وأطوار النبات

قال تعالى في يونس: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ﴾[1].

وقال في الكهف: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾[2].

وقال في الحديد:﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾[3].

---

1 – يونس آية 24 .

2 – الكهف آية 45 –46 .

3 – الحديد آية 20 .

في المثلين الأولين مثل سورة يونس ومثل سورة الكهف تصوير لحقيقة الدنيا كما يراها خالقها.

ففي مقام التهوين من شأن الدنيا، واستقصار نعيمها إلى جانب ما أعده الله من النعيم المقيم في الآخرة أُوثرت الفاء في تصوير سرعة زوالها، لأنها وحدها التي تنهض بهذا الدور فتضمر الزمن في أحشائها، وتطوي عجلاته بسرعة لا تكاد العين تلمح دورانها، فلا يفيق المشاهد إلا على أجراس نهاية الدنيا وزوال أثرها.

وبإيقاع أسرع جاءت آية الكهف، فقد اختلطت رؤية النبات بنزول الماء ولم تكد العين تقع عليه حيًا مزهرًا، حتى ألفته هشيمًا يذهب أدراج الرياح، فكما لم تُمهل العين للاستمتاع بالنظر فيما أنبتت الأرض، لم يُمهل الفكر ليربط بين الماء وأثره في حياة النبات فعاجل الزمن الفكر بمثل ما عاجل البصر.

وأما عن سرعة الإيقاع في الكهف عنه في يونس نسبيًا هو أن الجواب فيها جاء عقب حوار بين كافر يتباهى بجنتيه، ويقطع بأنها لن تبيد أبدًا، ومؤمن يحذره من عقاب الله تعالى له لينتهي الحوار على لسان المؤمن:﴿ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ [1] وما أجمل

1 – الكهف آية 40 – 42 .

حذف ياء المتكلم "**يُؤْتِيَن**" مع قوله: "**فَعَسَى**" المقترنة بالفاء في الدلالة على سرعة الإيقاع وقرب الرجاء ويقين الآيتاء.

أما في الحديد: فقد جاء التصوير للدنيا بدون ضرب مثل على حقيقتها داخل نفس الغارق في ملذاتها وزخرفها وزينها، المتشبث بالأمل في بقائها. إنه نفس الطفل الذي يلهو بما يصنعه من بيوت الرمال، لا يمل من إعادة البناء، ولا يفقد الأمل في أن تثمر محاولاته عن بيت يدوم له البقاء.

ففي المثلين الأولين تصوير لحقيقة الدنيا كما يراها خالقها، وفي المثل الأخير تصوير لها من خلال أعين الغارقين فيها المستمتعين بلهوها ولعبها، وكانا حرفا التعقيب والتراخي أداتي ضبط المسافات في عدسة التصوير الزمني، تقرب وتبعد، وتكبر وتصغر، تسرع وتبطئ طبقًا لما يراه المصور، ومن عجيب هذه الآيات توافق ترتيبها في المصحف وكذلك ترتيبها النزولي: يونس فالكهف ثم الحديد، فذكر الحياة الدنيا في المثل الأول والثاني واختتم بذكر أخرها نزولاً مع الأمر بالعلم بقوله ﴿ **ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ** ﴾[1] لينتهي الأمر ببيان حقيقتها في نهاية الآية: ﴿ **وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ** ﴾ [2]

---

1 – الحديد آية 20

2 – الحديد آية 20 .

من دلالات حذف الحروف وذكرها

– جاء على لسان المؤمن:﴿ فَعَسَى رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ ﴾ بحذف ياء يؤتيني، في إشارة بديعة مع قوله تعالى: "فَعَسَى" المقترنة بفاء التعقيب على سرعة الإيقاع، وقرب الرجاء، ويقين الآيتاء.

– وجاء على لسان الظالم لنفسه: ﴿ وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴾ بإثبات الياء للدلالة على طول الندم، وألم الحسرة؛ فالتوجع ظاهر.

– جاء في الكهف: ﴿ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِۚ ﴾ بحذف ياء نبغي.

– وجاء في سورة يوسف: بإثبات الياء لنفس الفعل ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِيۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَا ﴾ [1] جاء في كتاب بلاغة الكلمة للسامرائي: نسيان الحوت ليس هو ما يبغيه موسى على وجه الحقيقة وإنما يبغى الشخص الذي يريد موسى أن يتعلم منه. أما في يوسف فالطعام هو ما يبغونه وهو سبب رحلتهم؛ ففرق بين البغيتين؛ ففي الكهف حذف إشارة إلى عدم إرادة الحدث على وجه التمام وإنما هو علامة على الموضع الذي يجدون فيه بغيتهم، أما في يوسف فلقد كان الطعام بغيتهم فذكر الفعل كاملاً ولم يحذف منه فناسب كلُ مُقامه.

– وأضيف أن الحذف في الكهف إشارة إلى تلهف موسى على وقوع العلامة الدالة على موضع العبد الصالح فسبقت عيناه لسانه، وسبق المعنى في خاطره

---

1 – يوسف آية 65.

النطق به، فأسقط الياء لتمام المعنى والفرح والاطمئنان في وجدانه، وأما إثباتها في يوسف فهي دليل الإلحاح وابتغاء الشيء وطلبه.. والله أعلم.

– جاء في قصة موسى والعبد الصالح على لسان موسى:﴿ **هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ** ﴾ بحذف ياء "تعلمني" في إشارة بديعة إلى تلهف موسى على سرعة تلقي العلم من العبد الصالح. وكذلك فإن حذف الياء تشير إلى مقام إنكار ذات الطالب أو المتعلم أمام أستاذه ومعلمه.

– وقال موسى أيضًا: ﴿ **قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا** ﴾ بإثبات ياء "**سَتَجِدُنِي**" "**وَلَآ أَعۡصِي**" إشارة من موسى للعبد الصالح على التزام الصبر، وعدم العصيان مع طول الملازمة للعبد الصالح.

– وجاء على لسان العبد الصالح: ﴿ **قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا** ﴿٧٠﴾ ﴾ [1] بإثبات ياء **ٱتَّبَعۡتَنِي** و**تَسۡـَٔلۡنِي** لتأكيد مطالبة العبد الصالح لموسى بالتزام الصبر، وعدم العصيان، من خلال العهد الذي قطعه موسى على نفسه؛ فكأن العبد الصالح يقول لموسى: مع طول الاتباع لا تلح بالسؤال، كما أن إثبات الياء في لفظتي **ٱتَّبَعۡتَنِي** و**تَسۡـَٔلۡنِي** تشير إلى مقام إثبات ذات المُعلم وظهورها على تلميذه.

– وجاء على لسان موسى: ﴿ **قَالَ لَا تُؤَاخِذۡنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرۡهِقۡنِي مِنۡ أَمۡرِي عُسۡرٗا** ﴿٧٣﴾ ﴾ [2] بإثبات ياء **تُؤَاخِذۡنِي** و **تُرۡهِقۡنِي** في إشارة بليغة إلى طلب موسى

---

1 – الكهف آية 70.

2 – الكهف آية 73.

من العبد الصالح ألا يطيل في لومه وتأنيبه وتبكيته لأن ذلك يرهق موسى نفسيًا بدرجة كبيرة فأثبت الياء. ولا يفوتنا تناسب إثبات الياء في قوله: **لَا تُؤَاخِذْنِي** مع ياء: **بِمَا نَسِيتُ** مع ياء **تُرْهِقْنِي** مع ياء **أَمْرِي**، لأن هذا مقام الإلحاح من موسى على عدم مؤاخذة العبد الصالح له بالتأنيب والمؤاخذة اللفظية وكذلك عدم إرهاقه بالضغط عليه نفسيًا.

– وجاء على لسان موسى أيضًا في نهاية الرحلة مع وقوعه فيما يستحقه من اللوم: ﴿ **قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَـٰحِبْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا** ﴿٧٦﴾ ﴾ [1] بإثبات ياء **تُصَـٰحِبْنِي** و**لَّدُنِّي** في إشارة بليغة على تبكيت موسى لنفسه، واحتراس من موسى بأنه لو وقع في الخطأ مرة أخرى فإن النهي سيكون عن طول المصاحبة البدنية، ولا يكون عن الفراق التام والقطيعة البدنية والمنهجية فموسى والعبد الصالح صاحبان في الله ويشير إلى ذلك رسم كلمة **تُصَـٰحِبْنِي** بحذف الألف في إشارة على بقاء والتزام صحبة المنهج رغم الفراق البدني. وكذلك إثبات الياء في **لَّدُنِّي** للدلالة على طول بال وصبر العبد الصالح على موسى مع تكرار خطأه وتأنيب موسى لنفسه ويؤكد هذا المعنى قوله "**عُذْرًا**".

– وجاء على لسان العبد الصالح لموسى: ﴿ **قَالَ هَـٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ** ﴾ [2] بإثبات ياء **بَيْنِي**، لتؤكد نفس الإشارة بنفي المصاحبة الطويلة دون الصحبة في

---

1 – الكهف آية 76.

2 – الكهف آية 78.

الله والشيء بالشيء يذكر. ويشير إلى ذلك وبقوة قوله:﴿ **فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ** ﴾ حيث لم يقل: فراقٌ بالتنوين للدلالة على عدم المفارقة الكلية، ولكنها فقط المفارقة البدنية، ويشير إلى ذلك أيضًا ما سبق أن أشرنا إليه بحذف ألف **تُصَٰحِبْنِي**.

– ولقد جاء في آل عمران: ﴿ **فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ** ﴾ [1] بحذف ياء اتبعني للدلالة على الحث على سرعة الدخول في الإسلام، وسرعة التابعين على طلب الاتباع للرسولﷺ في منهجه بمجرد الدخول في الإسلام.

وجاء في يوسف: ﴿ **قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ** ﴾ [2]، بإثبات الياء لأن هنا مقام الدعوة إلى الله، ولا شك أن الدعوة إلى الله تتطلب صبرًا وعلما وبصرًا وتبصرًا بالأحكام أكثر من مجرد الدخول في الإسلام، وهي تتطلب أيضًا إتباعًا للرسول ﷺ قولاً وعملاً مع الالتزام الشديد بتعاليم الإسلام والتمسك بها.

ويؤكد هذا المعنى إثبات ياء **سَبِيلِي** وإثبات ألف **أَدْعُوَا** في نهاية الكلمة وكذلك قوله **عَلَىٰ بَصِيرَةٍ** بما يفيد التمهل والأناة.

---

1 – آل عمران آية 20 .

2 – يوسف آية 108 .

- جاء في الأعراف:﴿ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٧٨ ﴾ [1] بإثبات ياء ٱلۡمُهۡتَدِ.

- وجاء في الإسراء: ﴿ وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُمۡ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ﴾ [2] بحذف الياء .

- وجاء في الكهف: ﴿ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ١٧ ﴾ [3] بحذفها.

في إشارة بليغة إلى قاعدة جديدة ، وهي صدارة الآيات ودلالتها على عظمة الترتيب المصحفي لسور القرآن وأنها بتوقيف من الله، فأثبت الياء على الأصل في الأعراف لأن لها الصدارة، ولم تأتِ هذه اللفظة في القرآن بهذه الصورة إلا في ذلك الموقع المتقدم في الأعراف.

وحذف في الإسراء والكهف بناء على تلك الصدارة في إشارة بديعة لتذكرنا بأن الله دعانا ويدعونا تكرارًا إلى الهداية، والتأكيد على معنى أن الهداية من الله. وكأن المولى يقول لعبده: ذكرت لك ذلك في الأعراف وهاأنذا أذكره لك في الإسراء ثم الكهف، وربما يكون من قبيل التناسب إثبات ياء المهتدي في الأعراف في إشارة إلى الحاجة إلى الهداية الشديدة، وقد يشير إلى ذلك قوله تعالى قبلها: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ

---

1 – الأعراف آية 178 .

2 – الإسراء آية 97 .

3 – الكهف آية 17 .

ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾ [1] فأثبت الياء تشبهًا بالفعل الذي يفيد التكرار فالحاجة إلى الهداية شديدة.

وقد يشير حذف ياء الإسراء إلى التناسب مع سرعة ووجازة زمن الإسراء والمعراج فالحذف من قبيل الخفة والسرعة والوجازة فأشبه الاسم.

أما في الكهف فقد يشير حذف الياء أيضًا إلى سرعة الهداية من أصحاب الكهف وكذلك سرعة الاستجابة لأمر الله بالإيواء إلى الكهف رغم صعوبة الحياة في الكهف ظاهرًا فأشبه الاسم أيضًا لدلالة ثبوت وثبات الإيمان في قلوبهم.

تاء المصابرة والمثابرة

تتجاوب القيمة التعبيرية لنسق التغاير بين الفعلين "تَسْتَطِع" و "تَسْطِع" في آيتي: ﴿ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا ﴾، ﴿ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ بغرض إحداث التناسب بين المبنى، وما يدل عليه من المعنى في سياقه. حيث ورد الفعل مثقلاً بالتاء في الآية الأولى لتصوير مدى الثقل الذي أحس به موسى عليه السلام حينما غُمَّ عليه ما كان يقوم به العبد الصالح من أفعال لا تتفق في ظاهر الأمر مع ما يعتاده الناس في الحياة، حتى بلغت المفارقة والمفاوتة العلمية بينهما قمتها، ثم ورد الفعل في الآية الأخرى مخففًا بحذف التاء للتنبيه على زوال ذلك الثقل عن كاهله حيث خف عليه ما لقيه

---

1 – الأعراف آية 175 – 176 .

ببيان سببه، ومعرفة كنهه، فتناسب كل بناء من هذين البناءين مع ما يصوره من المعنى. هذا ما يكاد ويجمع عليه علماء البلاغة فيما كتبوه عن سر التغاير بين الفعلين. وأضيف إلى هذا الوجه الجميل، وجهًا آخر أراه جديدًا وهو أن التاء المثبتة في الفعل الأول تشير إلى التجمل والتحمل، والمصابرة، والمثابرة، والاجتهاد الذى كان يجب أن يتحلى بها موسى أمام ما يراه مع ما لم يعتده في حياته، حيث إن الفعل الماضي استطاع بإثبات التاء يكون على وزن استفعل الذي يفيد الطلب. ولعل هذا المعنى يأتي متجاوبًا مع ذات المعنى نفسه في قوله تعالى: ﴿ **وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ** ﴾ [1] بما يشير بالاستعداد بكل ما في الطوق من قوة على اختلاف صنوفها وألوانها وأسبابها مع الأخذ بكل أسباب الاجتهاد في طلب تلك القوة، ويؤكد ذلك تنكير لفظة "**قُوَّةٍ**" لتفيد العموم، فيعم كل **قُوَّةٍ** صغيرها وكبيرها، هذا إضافة إلى الظلال التي تثري نفس المعنى بقوله: ﴿ **وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ** ﴾ إضافةً إلى المعنى الكلي المستفاد بالجمع بين قوله تعالى: ﴿"**مِّن قُوَّةٍ**" "**وَمِن رِّبَاطِ** "﴾.

– وأما عن مجيء الفعل مخففاً عن تلك التاء، فإنه يشير إلى طابع العجلة والتعجل التي يتسم بها موسى عليه السلام ففاته التصبر والتحمل في هذه المواقف الثلاثة.

– انظر إلى موسى قبل بعثته نبيًا حين استرجع وندم على فعلته بوكزه من هو عدوه فقضى عليه، وعزا ذلك إلى الشيطان وغوايته: ﴿ **وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ**

---

1 – الأنفال آية 60 .

حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَـٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَـٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَـٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَـٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ ﴾ [1].

ثم عاهد ربه فماذا قال: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [2]، فماذا حدث؟ ﴿ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [3] ومع ذلك غلبه الانفعال والعجلة مرة أخرى : ﴿ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [4] ليفيق موسى ويثوب ويرجع إلى رشده.

---

1 – القصص آية 15 16 .

2 – القصص آية 17 .

3 – القصص آية 18 .

4 – القصص آية 19 .

وانظر إلى عجلته حين سأل ربه أن ينظر إليه، فلما تجلى ربه إلى الجبل فجعله دكا وخر موسى صعقا، ثم أفاق فسبح ربه وتاب قائلاً: ﴿ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [1].

ألم يلق موسى بالألواح حين غضب لاتخاذ قومه من بعده من حليهم عجلاً جسدًا له خوار؟! وقد أمره ربه أن يأخذها بقوة: ﴿ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ ﴾ بل أنه قبلها قال له: ﴿ فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ ولم يأخذ مُّوسَى الألواح مرة أخرى بعد إلقائها إلا بعد أن سكت عنه الغضب: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ ﴾ وقد تنبه أن في ﴿ نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ [2] .

إلام يشير كل ذلك؟!

يشير كل ذلك إلى الطبيعة الانفعالية، والتعجل الذي يصاحب انفعالاته، فهو أحوج ما يكون إلى الدروس التربوية التي يعلمه ربه إياها على يد العبد الصالح.

– كما تعاقب على قراءة الفعل "استطاعوا" حذف التاء وإثباتها في قوله تعالى: ﴿ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ ﴾ [3] ولم يزد معظم الموجهين في تعليل ذلك الحذف عن القول بأن الفعل "اسطاع" أصله "استطاع"

---

1 – الأعراف آية 143 .

2 – الأعراف آية 154 .

3 – الكهف آية 97 .

إلا أن التاء حذفت منه تخفيفًا، وهي علة يكثر دوارنها عندهم لمثل هذا اللون من الحذف. ولكن إذا كان الأمر كذلك كما يتساءل الأستاذ أحمد سعد محمد في كتابه "التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية" فما سر إيثار القراءة العامة تخفيف الفعل الأول، وتثقيل الآخر؟.

لقد استغل الزبير الغرناطي "ت 807" العلة نفسها في الكشف عن سر هذا التغاير في مبني الفعلين فربط بينه وبين غرض الآية الذي يصور علو السد، وملاسته وصلابته، وموقف يأجوج ومأجوج منه "فجيئ" أولاً بالفعل مخففا عند إرادة نفي قدرتهم على الظهور على السد والصعود فوقه، ثم جيئ بأصل الفعل مستوفي الحروف عند نفي قدرتهم على نقبه، وخرقه، رغم مثابرتهم ومصابرتهم على ذلك ومحاولاتهم المتكررة.

وأضيف أنه رغم أن التدرج والترتيب بحذف التاء ثم إثباتها يشير إلى الثقل، والجهد، والمشقة التي يعانونها عند النقب والثقب بدرجة أكبر مما يعانونه عند ظهور السد، وهذا بالنظر إلى حال من يحاولون الظهور والنقب، فإن تلك المغايرة وذلك التدرج بطريقة مقابلة وعكسية يشير إلى أن ملاسة السد وعلوه كانت الأشد صعوبة من صلابته وصلادته، وذلك بالنظر إلى طبيعة وصفات السد وقد يؤيد ذلك ما روي في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: فُتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وعقد وهب بن منبه بيده تسعين – وفي رواية وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها، إشارة إلى الفتح والثقب في الردم.

ليس لفًا ونشرًا مُشَوشًا

افتتن صاحب الجنتين بكلتا جنتيه التي آتت أكلها ولم تظلم منه شيئًا، وقد فجر الله خلالهما نهرًا، فبادر صاحبه وهو واقف عند مدخلي جنتيه مزهوًا مفاخرًا مكاثرًا قد أذهله ما بجنتيه من ثمارهما قائلاً له وهو يحاوره: ﴿ **أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا** ﴿٣٤﴾ ﴾ [1] اغترارًا بما أمد الله به بني إسرائيل من أموال وبنين كما جاء في الإسراء﴿ **وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا** ﴿٦﴾ ﴾ تُرى ماذا كان من أمر انفعال الصاحب الفقير وقد لمح في خطاب صاحبه الذي طالت صحبته له[2] زهوًا واختيالاً بل تعاليًا عليه؟ لا شك أن الصاحب الفقير وقد فوجئ باختيال صاحبه قد وجه صاحبه ولو بكلمة [3] من فِيه، أو بإشارة من يده أن ينسب الفضل لربه، فلا يعتد ويعتز بنفسه فيقول (أنا).

---

1 – الكهف آية 34 .. لاحظ سر العدول فلم يقل:((أنا أكثر منك مالاً وأكثر ولدًا))، أو يقل: ((أنا أكثر منك مالا وولدا)) ولكنه قال : ﴿ **أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا** ﴾ في إشارة = = بليغة إلى إعزاز الله له، بالولد الكثير القوى، وكذلك العشيرة ذات النفرة، وكثرة من يعملون عنده من نفر.

2 – يشير إلى ذلك رسم كلمة ﴿ **لِصَٰحِبِهِۦ** ﴾ المحذوفة الألف دلالة على طول الصحبة والرفقة والخلال والالتصاق بين الصاحبين .

3 – يشير إلى ذلك معنى الحوار وهو تجاذب أطراف الحديث في قوله :﴿ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ ﴾ .

وأضيف أنه إذا لم يكن هناك من توجيه بكلمة أو من إشارة بحركة، فلا شك أن الصاحب الغني قد لمح على وجه صاحبه انفعالاً يصعب نكرانه ممزوجًا بتعجب واعتراض واستنكار.

استنفر هذا التعجب والاعتراض الصاحب الغني فلم يفطن إلى خوف صاحبه وحرصه عليه، قد أوقعه إبليس في شراك توهم الغيرة والحسد من صاحبه الفقير، فخطا بصاحبه الفقير، تأراً لنفسه، وإيلامًا ونكاية في صاحبه خطوة إلى إحدى جنتيه ليطوف به فيها ويريه ثمارها[1] قد نسي ربه، وتمكن الظلم من نفسه [2] مشيرًا بذلك ليس فقط إلى ظلمه صاحبه فقط، وظلمه لنفسه، بل إلى وقوعه في محظور الكفر والبغي والمجاوزه فقال: ﴿ **مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَـٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾** ﴾ .

أدعوك عزيزي القارئ ألا يستغرقك طويلاً الاستنكار لقول صاحب الجنتين، بل أدعوك إلى لفته خاطفة لتنظر إلى وجه الصاحب الفقير وقد علت وجهه انفعالات الغضب وزادت. ها هو يلمح في قول صاحبه الغني بوادر كفر لم يفصح به لسانه، طمس بصره ما علا دنياه من ظاهر الأغيار ناسيًا مشيئة وقدرة ربه. فهل فطن الصاحب الغني إلى خطورة ومحظور ما يقول؟

---

1 – يشير إلى ذلك أفراد لفظه جنته فلم يقل جنيته في قولـــه تعـــالى: ﴿ **وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ** ﴾ لأن الدخول إلى الجنة لا يكون إلا لجنة واحدة فقط، حيث يستحيل أن يدخل الصاحبان أو يكونا فـــي جنتين في ذات المكان والوقت واللحظة.

2 – يشير إلى ذلك العدول من الفعل إلى اسم الفاعل في جملة اسمية في قوله تعالى: ﴿ **وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ** ﴾ فلم يقل: دخل جنته وقد ظلم نفسه، أو ودخل جنته ظالم لنفسه.

لا لقد استنفره مرة أخرى، ما وجد على وجه صاحبه من إنكار وامتعاض وغضب شديد، وقد عمق له إبليس الشراك هذه المرة، فدفعه ليس إلى البوح بالكفر فقط وإنكار البعث والساعة، بل إلى القول والجهر به: ﴿ **وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً** ﴾ مضيفاً بما يشير إلى ترجيح توجيه صاحبه له بالقول إلى خطر ما يقول، فإذا بالغني وقد تملكه شيطان الكفر يقول للفقير، ولا أقول لصاحبه الفقير ما معناه: "وعلى زعمك بحدوث البعث وقيام الساعة، فإني أرجح بل لابد أيضا، وقد كان لي الحظوة والاستطالة في الدنيا أن تدوم لي ومعي وبأحسن منها تلك الحظوة والاستطالة في الآخرة". هكذا منطق الشيطان وقد لقنه له متمكناً منه. ويشير إلى ذلك وجود واو العطف وحرف الشك "إن" المؤكدة باللام في قوله: ﴿ **وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا** ﴾[1] فيكون معنى الواو وعلى زعمك بحدوث البعث الذي أشك فيه فإن النتيجة هي ﴿ **وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا** ﴾. وهكذا يتضح لنا عزيزي القارئ أن الصاحب الفقير، قد اعترض بالكلمة، أو الإشارة وربما بكلتيهما، إضافة إلى الانفعال والأثر الواضح على وجهه فليس في الحوار ما يدل على اللف، والنشر لما سيأتي بعد، بل هو الحذف البليغ والإيجاز البديع.

وإذا سلمنا باللف والنشر، فيكون فقط فيما هو معلن بصريح القول في النص القرآني ويكون اللف في قول الصاحب الغني ابتداء من قوله تعالى:

---

1 – الكهف آية 36 .

﴿ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ ﴾[1] مرورًا بقوله:﴿ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ۝٣٥ ﴾ [2] ومنتهيًا بقوله ﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ۝٣٦ ﴾ [3] ثم النشر في قول الصاحب الفقير ابتداء من قوله تعالى:﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ ﴾ مرورًا بقوله: [4]﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ۝٣٨ ﴾ [5] ثم بالتنبيه على الإقرار بمشيئة الله: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾[6] ثم الدعاء بفاء السرعة والتعقيب المقرونة بفعل الرجاء المحقق بنسب الفعل إلى ربه: ﴿ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ ﴾ إلى أخر كلامه ﴿ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ۝٤١ ﴾[7].

وقد لاحظ المفسرون أن ترتيب القول في النشر كان عكس ترتيب القول في اللف فأطلقوا على ذلك السياق والنظم اللف والنشر المشوش. وأجد في نفسي شيئًا من لفظة المشوش تأدبًا مع كتاب الله وأميل إلى تسميته باللف والنشر العدولي أو المثاني إشارة إلى ابتداء النشر من حيث انتهى إليه اللف، فهو كالانثناء، هذا إذا كان المقصد الإيماء والإشارة إلى الترتيب.

---

1 – الكهف آية 34 .
2 – الكهف آية 35.
3 – الكهف آية 36.
4 – الكهف آية 37.
5 – الكهف آية 38.
6 – الكهف آية 39.
7 – الكهف آية 41 .

وأفضل على ذلك كله تسميته باللف والنشر الغائي إشارة إلى الترتيب في القول والكلام بالابتداء بما هو أهم، فالمهم إلى غير ذلك بما يتناسب مع درجة الأهمية.

تُرى كيف يكون ترتيب القول من الصاحب الفقير وقد رصد في نهايته تجاوز صاحبه بالتعريض له والتكبر عليه والغرور والزهو كفرًا صريحًا بظاهر القول:﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا ﴿٣٦﴾ ﴾ [1] ؟! أيثأر لنفسه أولاً؟ وما فائدة الثأر لنفسه أولاً وقد زلت قدما الصاحب فوقع في محظور الكفر؟ هل بعد الثأر لنفسه سيغفر لصاحبه تكبره عليه وتعود الصحبة مرة ثانية؟ كلا وألف كلا: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦ ﴾ [2] فلا صحبة إلا في الله، ولا صحبة إلا بالله، ولا صحبة إلا مع الله، وهكذا النفس المؤمنة لذلك الصاحب الفقير، لقد تجمل فتحمل ما ناله من أذى كبر وبطر وزهو صاحبه فيما هو خاص به.

وأما أن تكون المجاوزة في حق المُنعِم، فهذا ما تأباه وترفضه النفس المؤمنة ولا تسكت عليه (فلقد فار التنور) بطوفان كفر صاحبه. هنالك تنتفض عزة الإيمان فلا تبالي بالمال والنفر، ولا تداري الغنى والبطر، ولا تتلعثم في الحق، ولا تجامل فيه الأصحاب.

ومن ثمَّ فقد بدأ بالقضية الكبرى، قضية الكفر الذي يأباه ولا يرضاه، فقال وقد عقد النية قبلها على الانفصال عن صاحبه انفصالاً وجدانيًا برغم

---

1 – الكهف آية 36.

2 – الأحزاب آية 4 .

رفقة المكان والزمان، وإلى هذا يشير إثبات ألف صاحبه في قوله تعالى:﴿ **قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ** ﴾ والتي حذفت قبلها بآيتين قبل إعلان كفر الصاحب الغني وقد أشرت إلى ذلك قبلاً، فقال له وهو يحاوره "**أَكَفَرْتَ**" ثم يذكره بأعظم حيثيات الربوبية، التي قالها الصاحب الغني شاكًا فيها ﴿ **وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى** ﴾ ولم يقل: "ولئن رددت إلى الله"، بل لم يذكره أبداً في حواره مذكرا إياه بحيثية وكيفية خلقه : ﴿ **بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ** ﴾ موضحاً له منشأه المهين الضعيف في أضعف مراحل خلقه، فهو مما لا شيء مجرد بعض من تراب ثم من نطفة مهينة ثم عدله وصيّره رجلاً﴿ **ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾** ﴾ فما سر هذا الكبر والبطر والكفر؟! ثم يردف وقد أعلن المفارقة ﴿ **لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾** ﴾ .

وانظر إلى أدب وتأدب المؤمن في قوله، فبينما كان قول الكافر، بجماع ألفاظ ودلالات الشك ﴿ **وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى** ﴾ على تقدير بزعمك مرجعًا، متغافلاً ومنكرًا عن عمد ذكر لفظ الجلالة "الله" لأنه المناسب لمقام البعث وقيام الساعة، نجد ذلك المؤمن يقول بجماع ألفاظ ودلالات اليقين "**لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى**" وأصلها لكن أنا، ولكن ذاته ونفسه قد توارت فأدغمت في حرف الاستدراك "لكن" مع ظهور ضمير الشأن لصاحب الشأن "**هُو**" وكذلك لفظ الجلالة "**ٱلله**" وكذلك "**رَبِّى**" الذي ينكره صاحبه، فتلاحمت الألوهية بالربوبيه، والنعمة

بصاحب النعمة[1] ثم أردف معرِّضًا تعريضًا شديدًا، مؤلمًا لصاحبه "**وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدًا** " ثم يضيف ناصحًا وهو يلتمس رجوع صاحبه عن كفره ﴿ **وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ** ﴾، ثم ها هو قد فرغ من القضية الكبرى العظمى، فلا ضير إذن، أن يعود فيثأر لنفسه من كبر صاحبه وزهوه عليه[2] ﴿ **إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾** ﴾ بالرجاء واليقين العظيم من خلال فاء التعقيب السريع وفعل الرجاء المتحقق خاصة مع ظهور فاعله[3].

﴿ **فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ** ﴾ [4] أهذا فقط، بل يرد صاحبه ويدفعه إلى الحسرة والندم ﴿ **وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ** ﴾ فيراها ﴿ **فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾** ﴾ ولا تنال جنته رحمة ربه فيصبح ماؤها ﴿ **غَوْرًا** ﴾ فلا يستطيع له طلبا.

---

1 – إشارة إلى نعمة العبودية والاستعانة في قوله تعالى: ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾

2 – إشارة إلى سابق قول صاحبه له: ﴿ **أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾** ﴾

3 – في مقابل قول الغني بصفته الشك: ﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾

4 – من الجميل واللافت للنظر أن يبرز المؤمن الفقير لنفسه بقوله أنا وهو يخاطب الغني المتبطر: ﴿ **إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ** ﴾ لأن نفسه عزيزة غالية نفيسه عند ربها، وفي ذات الوقت تتوارى بل تذوب وهي في حضرة المولى: ﴿ **لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي** ﴾ وكذلك في قوله: ﴿ **فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ** ﴾ فلم يقل فعسى ربي أنا أن يؤتين.

أرأيت فليس اللف والنشر إذا سلمنا بوجوده مشوشاً، بل غائيًا ذا حكمة، وهي ذات الحكمة التي تكلم بها يوسف عندما انتهز وجود من يطلب منه العون،ويستمع لما يقول، وذلك في قصة الفتيين اللذين دخلا السجن مع يوسف، وسألاه أن ينبئهما بتأويل رؤياهما، فاستغل وانتهز حاجة الفتيين إلى تأويل رؤياهما فطمأنهما وضمن إصغاؤهما إليه حين قال: ﴿ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ﴾ ثم التفت بالحوار في خضم وخدر الطمأنة لهما فعرج قائلاً: ﴿ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ﴾ وهكذا بدأ يوسف يبلغ رسالة ربه، ويدعو إلى توحيد الله سبحانه وتعالى منتهزًا تأويل رؤيا الفتيين، ثم في نهاية الأمر أُوِّلَ لهما رؤياهما. انظر الآيات في سورة يوسف: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن

دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴿٤١﴾﴾[1].

وهكذا فإن للعرض حكمة وللسياق غاية، ومن ثم يكون اللف والنشر تابعًا لهذه الحكمة وتلك الغاية.

طريقان ومنهجان مختلفان رغم تقارب النظم

يتقارب النظم في قوله تعالى:﴿ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗا ﴾ مع النظم في قوله تعالى : ﴿ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗ ﴾ في المقطعين﴿ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ﴾وكذلك ﴿ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ﴾ من حيث الألفاظ، والتقديم التأخير، وذلك بتقديم "مِن دُونِهِۦٓ" وتأخير "إِلَٰهًا" و"ءَالِهَة" إلا أنهما طريقان متباينان يرسمان منهجين مختلفين.

أولهما: دل النظم فيه على قمة التوحيد.

وثانيهما: دل النظم على قمة الشرك بالله.

فالمؤمنون يترفعون عن مجرد الدعاء لغير الله، والمشركون لا يتورعون، بل يتخذون من دون الله ألهة.

---

1 – يوسف آية 36 – 41 .

تنوع المعاني مع ثبات الصورة اللفظية

سبق أن ذكرنا في أول النظرات أن السمة الواضحة المميزة في سورة الكهف تلك المباينة وذلك التباين والتمايز بين طرفي الإيمان والكفر، بين من رحمهم الله، ومن كان أمرهم ﴿ فُرُطًا ﴾ وكذلك التباين في نسبة العلم، ولذلك فإننا نلاحظ كثرة توارد لفظة "بين" في السورة بمعانيها وأشكالها المختلفة للدلالة على هذا التباين ولنتابع معًا ذلك:

-﴿ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ﴾ [1] والمعنى حجة ظاهرة الدلالة .

-﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ ﴾ [2] والمعنى ليتساءلوا عن أحوال نومهم ويقظتهم من حيث الزمان (أي مدة لبثهم).

-﴿ إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ﴾ [3] بيان لطرفي المتنازعين من الكفار والمؤمنين حول أمر أهل الكهف.

-﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [4] ظرف مكان بمعنى وسطهما.

-﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ ﴾ [5] أي بين الأوثان وعابديها موضع هلاك هو هذا الموبق.

---

1 – الكهف آية 15 .

2 – الكهف آية 19 .

3 – الكهف آية 21 .

4 – الكهف آية 32.

5 – الكهف آية 52.

-﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴾ [1] أي التقاؤهما ولم يكن هناك بينً أصلاً لصيرورتهما شيئًا واحدًا. وفيها إشارة إلى التباين بين علم موسى وعلم العبد الصالح.

-﴿ قَالَ هَـٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ﴾ [2] أي وقت فراق بيني عن بينك كما أخبرت. وفراق بينك عن بيني كما شرطت، أي فراق المصاحبة البدنية وليس فراق المنهج والتكرار لتأكيد نوع الفراق. ويشير إلى ذلك عدم تنوين لفظة **فِرَاق**حتى لا يفيد نفي عموم المصاحبة. ويؤكد تلك اللفتة حذف ألف ﴿ **تُصَـٰحِبْنِى** ﴾ كما يشيرُ الرسم العثماني للفظة.

-﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ ﴾ [3] أي السد والحاجز والمانع بين الجبلين فهي ظرف مكان.

-﴿ عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ ﴾ [4] أي حاجزًا ومانعًا فلا يصلون إلينا، ولاحظ سر تقديم بيننا على بينهم، لبيان أن بناء السد يكون من ناحيتهم فيتحكموا في بنائه بالكيفية التي يريدونها. وهي تشير أيضًا إلى المباينة والمفارقة بين المظلوم والظالم.

---

1 – الكهف آية 61.

2 – الكهف آية 78.

3 – الكهف آية 93.

4 – الكهف آية 94.

-﴿ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ﴾ [1] وبنفس الكيفية لبى طلبهم بردم أعظم من السد. والتكرار يفيد كمال العناية بهم.

-﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ ﴾ [2] أي أعلى منقطع والتقاء جانبي وقمتي الجبلين.

وهكذا يتباين المعنى بين آية وأخرى: رسم في بعضها صورة وموضعًا أو مكانًا يخالف الآخر ولو بشكل نسبي، ودلت في بعضها على تباين الأحوال بين طرفي النزاع: المؤمن والكافر، الظالم والمظلوم، ودلت أيضًا في بعض الآيات على تفاوت وتباين العلم بين طرفي الحوار، وقد جسدت الكلمة بمواضعها المختلفة تلك المباينات والمفارقات.

التنويع المصدري والاسمي لمادة رَشَدَ

تنوعت مادة رشد في القرآن بأشكالها الفعلية والاسمية، إلا أن هناك ثلاثة من المصادر وردت في الكتاب الكريم لمادة الفعل الثلاثي رَشَدَ، وهي على الترتيب رَشَدَا، رُشْدًا، رَشَاد، فكيف استعملها الكتاب الكريم؟ وكيف لوَّن ونَّوع في استخدامها متسقًا مع السياق، وكذلك المعنى؟!

---

1 – الكهف آية 95.

2 – الكهف آية 96 .

أولاً: رَشَـــدا

جاء معنى ذلك المصدر في سورة الكهف، والقرآن عمومًا بمعنى مطلق الهداية، والنفع والخير، والدلالة، والتوفيق، خاصة وأن هذا المصدر لم يرد في القرآن إلا نكرة التي تفيد العموم على الأصل، ففي سورة الكهف:﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ ﴾ [1].

﴿ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَـٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [2].

وفي سورة الجن أيضًا: ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ ﴾ [3].

﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴾ [4] ويدل على أن معناها مطلق نفع أنها جاءت مقابلة لمطلق "ضر"، والذي ورد على سبيل النكرة هو الآخر ﴿ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ ﴾ [5] وقد جاءت نفعًا مطلقًا في مقابل ضرًا مطلقًا أيضًا في القرآن بما يشير من الآيتين معًا أن معنى رشدًا مطلق نفع:﴿ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ﴾ [6].

---

1 – الكهف آية 10.

2 – الكهف آية 24.

3 – الجن آية 13.

4 – الجن آية 14.

5 – الجن آية 21 .

6 – الرعد آية 16.

ثانيًا: رُشْدا أو الرُشْد

وتطلق بمعنى الدلالة والهداية ذات النفع والخير الخاص، خاصة وقد تنوع استخدامها بين المعرفة والنكرة المعينة بدلالة السياق.

ففي سورة الكهف: ﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ٦٦ ﴾ [1]، والسياق يوضح أن رُشدًا هنا تعني علمًا خاصًا ذا رشد وفيه إصابة خير بدلالة التبعيض والبناء للمجهول في قوله: مِمَّا عُلِّمْتَ.

وفي سورة الجن أيضًا: ﴿ قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ٢ ﴾ [2]، وانظر إلى مقابل الكلمة فلقد جاء أيضًا بنفس النطق والتعريف "ٱلضُّر"﴿ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ بمعنى الضر الخاص الذي يعني المرض والهزال.

وفي بقية سور القرآن ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ﴾ [3] وهو رشد متعين بدلالة التعريف بمعنى الهدى والإيمان مقابل الكفر والضلال.

وانظر ﴿ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ ﴾ [4] هو رشد خاص مرتبط فقط بالمال وإصلاحه وحُسن استعماله وإدارته .

---

1 – الكهف آية 66.

2 – الجن آية 2-1.

3 – البقرة آية 256 .

4 – النساء آية 6.

وانظر: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [1] هو رُشْدْ خاص بإبراهيم بدلالة المعرفة قيل: هو الصحف، وقيل: الحكمة، وقيل: التوفيق للخير صغيرًا.

ثالثًا: الرشـــاد

حيث لم تأتي في القرآن إلا معرفة مضافة إلى كلمة سبيل، فهي أخص من الرُشّد، وإضافتها يعني طريق الصلاح والصواب بالحبل والوسيلة الموصلة إليها، جـــاء على لسان الرجل المؤمن مرتين في سورة غافـــر:﴿ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [2]، وكذلك ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ ﴾ [3]، ويبدو جمال المد بالألف متوافقًا مع جمال المد بالياء في كلمة سَبِيل الدالة على التهيئة والتعبيد والتطريق وكأن السبيل حبل ممدود موصل إلى ذلك الرشاد. وربما كان لهذا السبب أنه في آية الأعراف: ﴿ وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾ [4] حذفت الألف لأنهم لم يتخذوا سبيل الرشاد فَقُطِعَ حبلهم. والخلاصة أن رَشَدًا هي البداية، والرشد واسطة، والرشاد هو الغاية.

---

1 – الأنبياء آية 51.

2 – غافر آية 29.

3 – غافر آية 38.

4 – الأعراف آية 146.

من أسرار العدول في الصيغ والزمن للتعبير عن أهوال يوم القيامة

اعتنى القرآن بالحديث عن يوم القيامة وأهواله. وتلك الأمور الغيبية المتعلقة بأهوال يوم القيامة كانت موضع تكذيب وإنكار من الكافرين. ولذلك فقد تنوعت أساليب القرآن في الإخبار عن المعاد، واستكثرت الآيات من عرض المشاهد العظيمة التي تقع في يوم القيامة وما يسبقه وما يكون فيه، ومصير الخلق بعد الفصل والجزاء. ولم يكن ذلك الغرض القرآني ليأتي بالأساليب التي عهدها القوم في كلامهم شعره ونثره: بل نهجت الآيات الكريمة سبيلاً آخر، وطريقة مباينة لما ألفوه.

- من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ [1].

أرأيت كيف جعل الأسلوب القرآني المستقبل ماضيًا وأصبح المحتمل الوقوع واقعًا، والبعيد قريبًا، والمتخيل حقيقة، والمستحيل عندهم ممكنًا، إذ أخبرت الآيات عن الأمور المستقبلة والأحداث المرتقبة على أنها أمور وقعت فلا محيص عن الإقرار بها والتصديق بمضمونها. ولا ننسى أيضًا جمال

1 - الكهف آية 47- 49 .

صيغة اسم الفاعل في تشخيص الأحداث وتجسيدها وجعلها أمرًا واقعًا قائمًا، وكذلك جمال البناء للمفعول في التعبير، على طريقة كلام القادرين.

– وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ ﴾ [1] فبالإضافة إلى ما في قوله تعالى:﴿ نَادُواْ شُرَكَآءِىَ ﴾ من مزيد الغضب ومزيد السخرية ومزيد التوبيخ، ومزيد اللوم، وكذلك قوله: "**فَدَعَوْهُمْ**" ولم يقل "فنادوهم" لأن الدعاء فيه شوب من الضراعة والاستكانة. ولا شك أن دعاءهم شركاءهم في ذلك اليوم لن يكون مرة واحدة بل سيكون مرات عديدة، فهو موقف البائس المتشفع. وقد يبدو مناسبًا استعمال المضارع من جهة أنه مستقبل ومن جهة أنه يفيد التكرار، ولكن إيثار الفعل الماضي يبين أنهم استنفذوا كل ما يمكن في مناداة شركائهم ودعوتهم حتى أعجزهم ذلك. فدعاؤهم تحقق بكل ما يملكون من قدرة فلا مجيب لهم. كما أن فيه بياناً لعجز شركائهم ولو كانوا ممن يسمعون حينئذ الدعاء. ولا تتحقق هذه المعاني كلها إلا بالعدول إلى الفعل الماضي "**فَدَعَوْهُمْ**" دون المضارع "يدعونهم". وأما رؤية المجرمين النار فإنه أمر قد تم وفرغ منه، فهم لم يروها فحسب وإنما ﴿ **وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾** ﴾، أي أن أمرهم آل إليها.

---

1 – الكهف آية 52– 53 .

ولو راجعنا الأسلوب والآيات السابقة لتبين لنا كيف هيأ الكلام السابق لهذا الانتقال، وحضور هذا المشهد المفزع الذي هو رؤية المجرمين النار واستقرارهم فيها، وأنهم لم يجدوا عنها مصرفًا.

التلوين والتنويع يحددان المكان ويرسمان الحال

تخاطب الآيات في قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ﴾ [1] الرسولﷺ، أو من يقرأ الآيات يحاول معها أن يرسم طبيعة العلاقة والتفاعل بين الكهف المستور وما حوله من كون شاسع، وتلعب فيها الشمس دورًا بارزًا، بحيث أنك ترى الكهف وقد حدد بموقعه من الشمس، فالشمس عند طلوعها تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وعند غروبها تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ . وما أدق وأرق من الإدغام بين تاءي طَلَعَت ، تَّزَٰوَر في الدلالة على سرعة تباعد الشمس عن الكهف حتى لا يكتشف أمر أصحابه. وقد ساهم في هذا الإخفاء الرسم العثماني بحذفه ألف الفعل تَّزَٰوَر دالاً على خفة ولطف الشمس في أداء ما أمرها به ربها من ستر الكهف وإخفائه، وقد ساهم حرف المجاوزة "عَن" في بيان اجتهاد، ٱلشَّمْس في أداء ذلك.

ونفس الإدغام بين تاءي "غَرَبَت"، "تَّقْرِضُهُم" يلعب دورًا مغايرًا مقابلاً لما أداه في اللقطة الأولى، فبينما اللقطة هناك انسحاب واختفاء، فالإدغام هنا

---

1 – الكهف آية 17 .

إقبال، ومد، وقرض بدفء وضياء وحنان. فالشمس في الحالين جندي من جنود الله أدت دورها على خير ما يكون الأداء امتثالاً لأمر ربها.

ثم هاهو التلوين والتنويع في قوله تعالى: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ ﴾ [1] بين اسمية الكلمة في قوله: "أَيْقَاظًا "بعد الفعل"تَحْسَبُهُم"، ثم اسمية الجملة في قوله:"وَهُمْ رُقُودٌ" ونعلم أن الرقود غير الرقاد. فبينما الرقاد هو النوم القليل المستطاب في أي وقت من اليوم، فإن الرقود يدل على النوم الطويل، ويكون بالليل على وجه الخصوص، ثم في العدول إلى الفعلية في قوله تعالى:﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ ﴾ ناسبًا الفعل لجلالته وعظمته، ثم يأتي متطرفًا في نهاية الآية بالجملة الاسمية﴿ وَكَلْبُهُم بَسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ﴾ ليلعب ذلك التلوين والتنويع دوره في رسم حال أصحاب الكهف فالأسماء والجمل الاسمية في الآية تدل على دوام وثبوت تلك الصفات والهيئات. فأصحاب الكهف مستمرون في رقودهم، أيقاظًا، "أي دائمي اليقظة" متنبهين لا تغمض أعينهم. والكلب في الطرف البعيد عند باب الكهف باسط ذراعيه ثابت ومستمر على تلك الهيئة.

إن التعبير بتلك الأسماء لم يكشف فقط عن هيئة أهل الكهف، بل جلّي سكونهم الدائم، وأفصح عن ثباتهم على الهيئات المذكورة.

---

1 – الكهف آية 18 .

وأما عن الفعل المضارع "وَنُقَلِّبُهُم" وقد توسط الأسماء فإنه يدل على أن التقلب كان يتجدد ويقع حيناً بعد حين، لئلا تأكل الأرض أجسادهم، كما تدل أيضًا على أن التقليب كان خاصًا بهم، ولم يشمل الكلب.

أرأيت بلاغة وإبداع التلوين، فالآية الأولى قد حددت ورسمت موقعًا، والثانية رسمت حالاً بأدق ما يكون الرسم، وبين الموقع وبين الحال جنود ربك التي لا يعلمها إلا هو.

عدول الفاصلة وبلاغة النظم

جاء في قصة موسى مع العبد الصالح تعليقه الأول في حادث خرق السفينة:﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ ﴾ [1]، وفي حادث قتل الغلام"﴿ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ﴾ [2] فهل لهذا التخالف مبرر بلاغي يمكن رصده؟.

نعم فالحادثة الأولى كانت مجرد خرق للسفينة قد يترتب عليه إغراق، وقد لا يترتب؛ فالإغراق مجرد احتمال.

وأما الحالة الثانية فكانت قتل نفس بلا سبب ظاهر، والقتل محقق. أي أن الجريمة في الأولى كانت متوقعة، مجرد توقع ولكنها قد وقعت فعلاً، وفي الثانية كان القتل ثابتًا ومحققًا.

فكان الإنكار في الأولى أخف وطأة من الثانية، لذلك اقتضت البلاغة الوصف في الأولى "إِمْرًا " أي أمر عظيم الخطورة، أما في الثانية فكان الوصف "نُّكْرًا" أي أمر منكر لا يحتمل أي جدل أو حوار؛ فهو مستنكر تمامًا.

---

1 – الكهف آية 71 .

2 – الكهف آية 74 .

وقد ناسب ارتفاع إيقاع الاعتراض من موسى ارتفاع إيقاع اللوم من العبد الصالح، فلامه في الأولى بقوله: ﴿ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ ﴾[1] وفي الثانية زاد الجار والمجرور "لَّكَ" لوقوع المخالفة لمرة ثانية. وأكاد أرى سبابة العبد الصالح مع قبض بقية الأصابع تشير إلى موسى باستنكار وقوعه في نفس الخطأ مرتين:﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ ﴾ .

دقة اللفظة القرآنية

جاء في قوله تعالى: ﴿ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَـٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ ﴾[2] "أَفَحَسِبَ" بمعنى "أفظن"؛ فإذا كان معنى الحسبان هو معنى الظن، فلم عدل النظم القرآني الحكيم عن لفظ الظن إلى لفظ الحسبان؟.

إن إعجاز القرآن في أجمع مذاهبه هو في ملاءمة ألفاظه وتراكيبه للمعاني المرادة، بحيث لو أريد وضع كلمة موضع كلمة فيه، أو وضع تركيب موضع تركيب فيه على أن تقوم الكلمة البديلة أو التركيب البديل بدلالة الكلمة القرآنية، أو التركيب القرآني لكان ذلك مستحيلاً .

فإذا طبقنا هذا المعيار على وضع كلمة "أفظن" موضع كلمة "أَفَحَسِبَ" لم نحصل على المعنى الذي تؤديه وتصوره كلمة أَفَحَسِبَ لماذا؟ لآن الظن مجرد

---

1 – الكهف آية 74 .

2 – الكهف آية 102 .

خاطر يرد في الذهن أما الحسبان فهو "ظن" أخص من مجرد الظن؛ فهو ظن يُعوِل عليه الظان ، ويضعه في حسابه راجيًا منه جلب منفعة، أو دفع مضرة.

والقرآن في هذه الآية يتحدث عن قوم حسبوا أن لهم منافع في اتخاذ بعض عباد الله أولياء من دون الله. فهذا عندهم ليس مجرد ظن "مُهمل" أو "عارٍ" من الأمل، بل هو ظن معقود عليه أملهم، لذلك هجر النظم الحكيم لفظ "ظن" إلى لفظ "حسب".

خطاب المؤمنين بلا واسطة على عكس خطاب الكفار

اتفق الأئمة على أن المقول لهم في قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ﴾ هم الكفرة. والسؤال لماذا وسَّط الله رسوله الكريم في خطابه للكافرين ولم يخاطبهم مباشرة بمثل مخاطبة المؤمنين التي لا تكاد تحصر في آيات الكتاب العزيز؟

فما أكثر ما خاطبهم بهذا النداء ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ والسر في ذلك لا يخرج عن أن يكون احتقارًا للكفر وأهله. حيث أن خطاب الله رفعة وتكريم؛ فالمؤمنون هم أهل لتلك الرفعة وذلك التكريم. أما الكفار فلا حظ لهم في هذه اللطائف الإلهية، وقد ورد خطابهم مباشرًا من الله نادرًا في مثل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعْتَذِرُواْ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [1] لأن هذا سيكون يوم القيامة وقد انتهى أمر الرسالة والرسول بما كان في الحياة الدنيا. كما أن في هذا الخطاب تيئيسًا وإقناطًا لهم وكفى بذلك إذلالاً وحسرة.

---

1 – التحريم آية 7 .

بلاغـة التعريـض

قال موسى للعبد الصالح بعد إقامته للجدا: ﴿ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾[1]

وفي القول تعريض للعبد الصالح باقتضاء أجر على ما أقامه من الجدار الذي كان على وشك الانهيار. أجرٌ هما في حاجة إليه، فقد أصابهما التعب والجوع، وقد اضطرا أمام شُح القرية أن يستطعما أهلها ﴿ فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا ﴾ .

موقف مؤسف حقًا لكنه لم يمنع العبد الصالح أن يصنع ما صنع رغم ما يعانيه هو وصاحبه موسى – عليهما السلام – من جهد وتعب. فإذا قال موسى في هذا الموقف:﴿ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ نمَّت عبارته عن طلب مقنع منعه من الإفصاح به ما يترتب على هذا الإفصاح، ﴿ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا ﴾ بعد حادثة قتل الغلام ﴿ فَلَا تُصَـٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ ﴾[2].

فالسؤال هذه المرة لن يكون له عذر جديد فبعده الفراق.

فماذا يصنع موسى وهو حريص على دوام الصحبة؟. لقد اهتدى إلى الوسيلة المناسبة، فلجأ إلى التعريض، وبالغ فيه: ﴿ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ فلقد فوض الأمر إلى مشيئة العبد الصالح وحده، وإنهما لشريكان في العمل ويشير إلى ذلك حذف ألف لَتَّخَذْت التي تدل على التعريض من طرف خفي، واختار موسى "لَوْ" من بين الأدوات، وجعل فعل المشيئة هو الشرط، وكان

---

1 – الكهف آية 77 .

2 – الكهف آية 76 .

يستطيع أن يقول (لو اتخذت عليه أجراً) ولكن قال: ﴿ **لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا** ﴾ حيث يحتمل الكلام بظاهره أن يكون ثناءً على مروءة العبد الصالح التي لم ينل منها أو يضعفها صنيع أهل القرية غير الكريم، وكذلك على تعاليه على منطق الحاجة والضرورة، التي تفرض عليه أن يطلب أجرًا على مروءته، كما يحتمل من طرف بعيد أن يكون تعريضًا له باتخاذ أجر، توافرت دواعٍ مشروعة وكافية لاقتضائه. فمن أحق بالمطالبة بالأجر ممن هو مضطر إليه؟ أما لو قال: (لو اتخذت عليه أجرًا) فهي مطالبة بقوة وسؤال فيه إلحاح.

ســؤال بـــ "**لَوْ**" التي تشعر بمدى حرص السائل بها على مطلوبه وعلى موقعه من نفسه. وعلى الرغم من تلطف موسى عليه السلام واحتياطه البالغ في تعريضه، فقد فهم العبد الصالح مغزاه، وعدَّه سؤالاً من موسى رتب عليه النتيجة التي حاول كليم الله أن يتوقاها:﴿ **قَالَ هَـٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ** ﴾. [1]

لو لم يكن في حديث موسى تعريض بطلب الأجـــر، لما عده العبد الصالح منه سؤلاً، يبني عليه هذا القرار ﴿ **قَالَ هَـٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ** ﴾.

---

1 – الكهف آية 78 .

الـرقيـم:

أيَّاً ما كان المقصود من الرقيم في قوله تعالى: ﴿ **أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا** ۝٩ ﴾ [1] أهو الكلب، أو لوح رقمت فيه أسماء أصحاب الكهف وجُعِلَ على باب الكهف، أو الوادي الذي فيه الكهف، أو الجبل أو أي مقصود آخر، فإن أعظم ما في إيراد تلك اللفظة، هو إعلام الله لرسولهﷺ بما يتجاوز ما يعلمه أحبار اليهود، أو يعلمونه ويكتمونه مكتفين بالسؤال عن أصحاب الكهف. إن إيراد اسم **ٱلرَّقِيم** هذا يُعَدُ تأييدًا قويًا لدعوة الرسول ﷺ وصدقه بما لا يمكن دفعه أو نكرانه، فقد أبهت معانديه ومعارضيه، بأكثر مما سألوه وما يعلمونه.

1 – الكهف آية 9 .

الباب الرابع
من دلالات الرسم العثماني

في قصة واحدة هي قصة صاحب الجنتين وصاحبه، اختلف رسم كلمة صاحب على رسمين كما يلي: ﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ ﴾[1] بحذف الألف ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ ﴾ [2] بإثبات الألف، فما دلالة ذلك؟!

في الأولى لم يكن صاحب الجنتين قد أعلن كفره بعد، وكان الصاحب المؤمن يظن أن صاحب الجنتين رفيق له في الإيمان ملتصق به، كلٌ منهما خَلِيلُ الآخر، فحذف الألف معبرًا عن هذه الرفقة والصحبة والخلة والالتصاق.

أما حين أعلن صاحب الجنتين كفره جاء الرسم يعبر بالانفصال الإيماني والوجداني رغم رفقة المكان والزمان فأثبت الألف.

ويتجلى هذا المعنى في حق الرسول ﷺ بألف المفارقة عن كفار قومه بالرغم من مصاحبته لهم في الزمان والمكان فأثبت الألف.

انظر هذه الشواهد من الآيات:

﴿ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ﴾ [3].

﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ ﴾ [4].

---

1 – الكهف آية 34 .

2 – الكهف آية 37 .

3 – سبأ آية 46 .

4 – النجم آية 2 .

﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [1].

﴿ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ﴾ [2].

غير أن القرآن حين يذكر سيدنا أبا بكر يعدل إلى كلمة لِصَحِبِهِۦ بدون الألف ليبين مدى الالتصاق بينهما وأن الصحبة والرفقة والخُلة الحقيقية في الإيمان فحذف الألف: ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [3]. وها نحن وفي سورة الكهف أيضًا نجد موسى وهو يعبر عن المفارقة البدنية لا المفارقة المنهجية (أي مع بقاء الصحبة الوجدانية الإيمانية) بحذف الألف في قوله تعالى:﴿ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ ﴾.

كما أن حذف الألف في قوله تعالى:﴿ تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ﴾ توحي بأن الشمس هنا جندي سري من جند الله، وكذلك في قوله تعالى: ﴿ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ ﴾ للإشارة إلى أن الزيادة غيبية روحية، كما يوحي زيادة الألف وإثباتها في قوله تعالى: ﴿ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ﴾ إشارة إلى عظم الدعاء والتوجه إلى الله سبحانه وتعالى كما حذف ألف "ثَلَٰثَة" في قوله: ﴿ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ فيما هو غير متيقن عدده من أصحاب الكهف. أما إثبات الألف في "رَّابِعُهُم"،"سَادِسُهُم" وكذلك، "وَثَامِنُهُم"، فيما هو متيقن عدده فهو كلب واحد لا اختلاف في عدده.

---

1 – التكوير آية 22 .

2 – الأعراف آية 184 .

3 – التوبة آية 40 .

الإعجاز في أحكام التلاوة

الإعجاز في أحكام التلاوة

ومعظم شواهد هذا المبحث استعرتها من كتاب إعجاز القرآن وإعجاز التلاوة لمؤلفه الدكتور محمد شلول، إضافةً إلى بعض الشواهد الأخرى من خلال الباحث.

الإدغام الكامل: في قوله تعالى: ﴿ **وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَا** ﴾ [1] للإشارة أن الله تعالى لم يجعل للكتاب أو الرسول ﷺ أي عوج ولو كان بسيطًا.

السكتة الخفيفة بين كلمتي﴿ عِوَجَاۜ ۝١ قَيِّمًا ﴾: كلمة "**عِوَجَا** " في نهاية الآية الأولى وكلمة "**قَيِّمًا**" في بداية الآية الثانية حتى لا تختلط هاتان الكلمتان في نظم واحد فيكون الالتباس في المعنى بقوامة العوج.

الإدغام بغنة في قوله: ﴿ **فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ** ﴾ [2] للدلالة على شدة الغم والوجد المتواصل الذي لحق بالرسول ﷺ لعدم إيمان قومه، ويدل على شدة نفرتهم وسرعة مفارقتهم وعظيم مباعدتهم قوله تعالى:﴿ **فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦** ﴾

المد المنفصل في الآية(11): ﴿ **فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ** ﴾ ليدل على طول المدة، وكذلك الحال بالنسبة للمد المنفصل في الآية (12): ﴿ **لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا ۝١٢** ﴾

---

1 – الكهف آية 2 .

2 – الكهف آية 6 .

القلقلة في ﴿ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ ﴾ لتدل على التكرار والزيادة المستمرة وتأكيد زيادة الهدى، وكذلك الحال في القلقلة في: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ في الآية14.

المد المنفصل في: ﴿ فَأْوُۥٓا إِلَى ٱلْكَهْفِ ﴾ ليعبر عن نية الفتية في البقاء في الكهف فترة طويلة واعتزال قومهم الكافرين، كذلك جاءت كلمة "فَأْوُۥٓا" ناقصة حرف "الواو" لتوحي بسرعة طلبهم للإيواء في الكهف .

الإدغام بين تاءي:﴿ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ﴾ لتوحي بأن الشمس بمجرد طلوعها تبعد عن كهفهم ذات اليمين. وليس هناك أي فرصة لطلوع الشمس على كهفهم ولو لفترة بسيطة، وكذلك نفس الحال في الإدغام لحرفي التاء في "غَرَبَت" و"تَّقْرِضُهُمْ" فالشمس هنا جندي من جند الله بدلالة قوله تَّقْرِضُهُم" ولم يقل تُقرضهم بضم تاء المضارعة بإلغاء وإلقاء إرادة الفاعل.

جاء **المد المنفصل** في ﴿ بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ ﴾ لتبين أنهم كانوا يحملون معهم نقودًا كثيرة في الكهف ، وأنهم كانوا من الأثرياء ، كما يدل اسم الإشارة "هَٰذِهِۦٓ" على الحلال في كسب هذا المال .

الإظهار في قوله: ﴿ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ ﴾ لنفي الفلاح على طول الزمن، فالفصل قائم.

أحكام التلاوة تساعد على استنتاج عدد أصحاب الكهف

﴿ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ بين ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ حيث إن الإدغام يوحي بسرعة القول دون تفكير أو روية لوجود حركة واحدة.

﴿ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ إخفاء بغنة بين خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ مما يوحي بنوع من الروية والتفكير"لوجود حركتين وقد أضاف قوله تعالى: ﴿ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ﴾ إلى القولين السابقين مع الإخفاء دلالته على الرجم بالقول.

﴿ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ حيث يكون هناك مزيد من الروية والتفكير لوجود إدغام ناقص بغنة حركتين + الواو حركة (أي ثلاث حركات) الأمر الذي يوحي بمزيد من التدبر والتفكير والروية بما يوحي برجاحة هذا القول. وقد حذفت ألف ثَلَٰثَة فيما هو غير متقين، وأما رَّابِعُهُم، سَادِسُهُم ، وَثَامِنُهُم فأثبت الألف لأنه كلب واحد عدده متيقن.

الإدغام: ﴿ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ ﴾ بين عَلَيْهِم و مَّسْجِدًا مع التوكيد باللام لبيان الجدية والإصرار التام.

الإظهار: ﴿ لِشَاْىْءٍ إِنِّى ﴾ لتوحي بأنه مهما كان الشيء قليلاً أو صغيرًا فلا تقولن لِشَاْىْء ﴿ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ .

والمد المتصل في يَشَآءَ يدل على طول وثبات وقيومية تلك المشيئة.

المد المنفصل: ﴿ مَآ أُوحِىَ ﴾ لتبين عظمة وقدر ما أوحي الله به من كتاب على الرسول الكريم ﷺ إضافة إلى ما في "مَا " ودلالتها على الإبهام من بيان صعوبة تقدير هذه العظمة.

الإدغام: ﴿ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ﴾ في الكلمتين "تَظْلِم مِّنْهُ" للدلالة على العطاء الموفور المتصل.

الإدغام في: ﴿ خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ بين الكلمات **ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ** في الدلالة على أن طور النطفة طور خفي لا نراه.

الإدغام: ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ ﴾[1] بين الكلمتين **بَيْنَهُم مَّوْبِقًا** للدلالة على اتصال النار والعذاب بهم.

المد والإدغام: ﴿ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ ﴾[2] فالمد يدل على يقينهم بالعذاب، والإدغام يدل على مواقعة النار والولوج فيها.

الإدغام الكامل في: ﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[3] لتوحي بالفورية والقطعية في عدم وجود فئة تنصره من دون الله .

الإدغام في قوله: ﴿ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ ﴾[4] في الدلالة على نفي قرب حدوث الموعد. وهو في الحقيقة قريب ودل على ذلك الإدغام وكذلك قوله:﴿ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلاً ﴾.

---

1 – الكهف آية.

2 – الكهف آية 53 .

3 – الكهف آية 43 .

4 – الكهف آية 48 .

﴿ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾: فالعدول عن كسر الهاء إلى ضمها في قوله:وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ للإشارة إلى توجيه الفتى الاتهام إلى الشيطان بإنسائه ، ويناسبه حركة الفم المضمومة بالرفع للدلالة والإشارة على توجيه الاتهام نحو الشيطان.

الإدغام:﴿ وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبًا ٧٩ ﴾ [1] للدلالة على ملاحقة الملك لهم ومطاردته المتواصلة لهم.

المدود ودلالتها على الصبر في قصة موسى والعبد الصالح

﴿ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ٦٩ ﴾

سَتَجِدُنِيٓ إِن: مد منفصل قدره خمس حركات.

شَآءَ: مد متصل قدره خمس حركات.

ٱللَّهُ: مد طبيعي قدره حركتان.

وَلَآ أَعۡصِي: مد منفصل قدره خمس حركات.

وَلا أَعۡصِي لَكَ: بين ياء **وَلَآ أَعۡصِي** ولام **لَكَ** مد طبيعي قدره حركتان .

أَمۡرٗا: بالوقف عليها مد طبيعي قدره حركتان.

وهذه المدود توحي بما تم الاتفاق عليه بين العبد الصالح وموسى في أن يكون موسى صابرًا مترويًا بلا حدود .

وكذلك قوله تعالى: ﴿ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا ٧٠ ﴾

---

1 – الكهف آية 79 .

شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ: إظهار .

حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ: مد منفصل قدره خمس حركات.

فالإظهار والمد المنفصل يدلان على أنه يجب على موسى الانتظار حتى يذكر ويفسر له العبد الصالح الأحداث.

المدود: ﴿ **فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ** ﴾ [1].

حَتَّىٰٓ إِذَآ: مد قدره خمس حركات.

إِذَآ أَتَيَآ: مد قدره خمس حركات.

أَتَيَآ أَهۡلَ: مد قدره خمس حركات.

ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا: قدره خمس حركات.

وهذه المدود تدل على الجهد والسعي الذي بذله كل من العبد الصالح وموسى حتى بلغ منهما التعب والجوع مبلغه ورغم ذلك لم يضيفوهما! وهذا يوضح سر تعجب موسى من فعل العبد الصالح الذي أقام الجدار فقال: ﴿ **لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا** ﴿٧٧﴾ ﴾ بحذف ألف الوصل في قوله: "**لَتَّخَذۡتَ**" ليبين أنه كان يجب على العبد الصالح من وجهة نظر موسى أن يتخذ أجره بسرعة من القرية حتى يمكنهما شراء الطعام الذي هما في حاجة إليه بشده.

---

1 – الكهف آية 77 .

وكما أن "الكهف" وهو فجوة في الجبل قد وسع الكون والحياة والزمان والمكان واستوعب الأحداث فكذلك فإن كهوف المعاني في السورة الكريمة أصعب من أن تحصى أو تعد، وما قدمناه قليل من كثير.

﴿ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ١٠٩ ﴾ (1).

1 – الكهف آية 109 .

المصادر والمراجع

1 – الإتقان في علوم القرآن – للسيوطي. مصطفى البابى الحلبي – القاهرة.

2 – الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق– لعائشة عبد الرحمن دار المعارف – القاهرة

3 – إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة – محمد عبد الخالدى.

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة – القاهرة .

4 – إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني – صلاح عبد الفتاح الخالدى– دار عمار للنشر والتوزيع – عمان.

5 – بلاغة القرآن الكريم – ظافر بن غرمان العمر – مكتبة وهبة – القاهرة.

6 – البيان في روائع القرآن – تمام حسان – عالم الكتب – طبعة خاصته تصدرها عالم الكتب ضمن مشروع مكتبة الأسرة .

7 – التعريض في القرآن الكريم – إبراهيم محمد عبد الله الخولى – دار البصائر – القاهرة

8 – تفسير ابن كثير – ابن كثير– دار المنار.

9 – تفسير أبى السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم – للقاضي أبى السعود

دار الكتب العامة – بيروت – لبنان .

10 – التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم – عبد العظيم إبراهيم المطعني – مكتبة وهبة – القاهرة.

11 – تفسير الشعراوي – محمد متولي الشعراوى – مكتبة أخبار اليوم – القاهرة .

12 – التفسير الكبير – للفخر الرازي – دار إحياء التراث العربي – بيروت لبنان.

13 – تفسير القرطبي – أو الجامع لأحكام القرآن الكريم – للقرطبي – دار الريان للتراث.

14 – التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية – احمد سعد محمد – مكتبة الآداب – القاهرة.

15 – دراسات جديدة في إعجاز القرآن – عبد العظيم إبراهيم المطعنى – مكتبة وهبة – القاهرة
16 – دلالات الألفاظ وسر الكلمة في القرآن الكريم – عاطف المليجى.
17 – رسم القرآن المعجز – عاطف المليجى .
18 روح المعاني – للألوسي – دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت لبنان.
19 – سورة الكهف – منهجان من الإصلاح والتغيير – دار صلاح سلطان للنشر .
20 – صحيح مسلم بشرح النووى– دار الحديث – القاهرة.
21 – عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل – أبو العباس احمد بن – البناء المراكشي – دار الغرب الإسلامي – بيروت لبنان.
22 – فتح الباري – بشرح صحيح البخاري – احمد بن على بن حجر– دار الريان للتراث.
23 – في ظلال القرآن – سيد قطب – دار الشروق.
24 – كتاب أسباب النزول – أبو الحسن الواحدي النيسابورى – المكتبة العصرية – صيدا – بيروت.
25 – كتاب أسرار البلاغة – للجرجاني – مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة.
26 – كتاب دلائل الاعجاز – للجرجاني – مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة .
27 – الكشاف – للزمخشرى – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
28 – الكشف والعيان في علوم القرآن – سمير عبد العزيز شلبوة
29 – معجزة القرآن – محمد متولي الشعراوى – سلسلة كتاب اليوم.
30 – المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – محمد فؤاد عبد الباقي –دار الحديث – القاهرة.
31 – المفارقة القرآنية – محمد العبد – مكتبة الآداب – القاهرة
32 – من أسرار التعبير القرآني – محمد محمد أبو موسى – مكتبة وهبة – القاهرة .
33 – من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم – محمد أمين الحضري

مكتبة وهبة – القاهرة.
34 – من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم – محمد أمين الحضري – مكتبة وهبة – القاهرة.
35 – من بلاغة النظم القرآني – بسيونى عبد الفتاح فيود – مصطفى الحسين الإســـلامية – القاهرة.
36 – من روائع البيان في القرآن – حامد السيد على – مطابع الولاء الحديثة – المنوفية.
37 – من الكهف إلى الكون – أحمد حسن رضوان.
38 – النظم الفني في القرآن – عبد المتعال الصعيدي – مكتبة الآداب – القاهرة .
39 – نظم الدرر في تناسب الآيات والسور – للبقاعي – دار الكهف العلمية – بيروت – لبنان.

الفهـــرس

الموضـــــــوع	الصفحة
المقدمة : سفن وشواطئ.....	5
الباب الأول : النظرات القرآنية.....	21
النظرة الأولى : علي باب الكهف.	23
النظرة الثانية : الكهف والكون	29
النظرة الثالثة : الكهف والحياة	35
– الحركة والسكون.....	35
– الإمساك عن الطعام	37
– الكهف ومنهج الحياة.....	40
النظرة الرابعة : الكهف والغيب	47
النظرة الخامسة : الكهف والكتاب.....	52
النظرة السادسة : من فتحة الكهف إلى فتحة الغار.....	57
علي هامش الكهف والغار.....	61
أولاً : المحراب والمسجد	61
ثانياً : القلب والقبر.....	63
النظرة السابعة : العبودية والولاية في سورة الكهف.....	64
النظرة الثامنة : الكهف والجمعة والمسيح الدجال	71
النظرة التاسعة : المشيئة لله	76
الباب الثاني : لمسات قرآنية.....	79
اللمسة الأولى: بين تسبيح الإسراء، وحمد الكهف، ونهر الحمد الشامل في الفاتحة	81
اللمسة الثانية : ميزان الدنيا، والباقيات الصالحات، والجبال.....	83
اللمسة الثالثة: نُزل و نُزل.....	87
اللمسة الرابعة :وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد	88
اللمسة الخامسة :جنتا المؤمن.....	89

اللمسة السادسة : رسل وعباد.....	**92**
اللمسة السابعة : غرة موسى في الصبر	**96**
اللمسة الثامنة : نسبية الزمن.....	**98**
ختام اللمسات:المقابلات القرآنية	**100**
الباب الثالث:من كنوز الكهف البلاغية	**109**
– التناسق الفني والأسلوبي لدلالتي العلم اللدني، والعلم بالأسباب	**111**
– سبعة وثامنهم كلبهم ودلالة الواو.....	**123**
– الصلاح في سورة الكهف.....	**124**
– من دلالات العطف في سورة الكهف.....	**127**
– من دلالات الفاء ، وثم، والزمن، وأطوار النبات.....	**128**
– من دلالات حذف الحروف وذكرها	**131**
– تاء المصابرة والمثابرة	**136**
– ليس لفاً ونشرًا مشوشاً.....	**141**
– طريقان ومنهجان مختلفان رغم تقارب النظم	**149**
– تنوع المعاني مع ثبات الصورة اللفظية.....	**150**
– التنويع المصدري والاسمي لمادة رَشد.....	**152**
– من أسرار العدول في الصيغ ، والزمن للتعبير عن هول يوم القيامة.....	**156**
– التلوين والتنويع يحددان المكان ويرسمان الحال.....	**158**
– عدول الفاصلة وبلاغة النظم.....	**160**
– دقة اللفظة القرآن.....	**161**
– خطاب المؤمنين بلا واسطة عكس خطاب الكفار.....	**162**
– بلاغة التعريــض	**163**
– الرقيـــــم.....	**165**
– **الباب الرابع** :من دلالات الرسم العثماني	**167**
– **الباب الخامس** :الإعجاز في أحكام التلاوة	**169**
– مصادر ومراجع.....	**179**